محمد ﷺ في شعر نصارى العرب المحدثين

(دراسة موضوعية فنية)

الدكتور / محمود رزق حامد

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق

المقـــدمـــة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصلاةُ والسلامُ على أشـــرفِ الأنبيـــاءِ والمرسلينَ ، سيدِنا محمد ، وعلى آله وصحبهِ أجمعينَ ، وبعد ..

فقد اعتلى سيدنا محمدٌ –صلى الله عليه وسلم– منزلـــةً ســـاميةً فـــي شعرنا العربيّ كتلك المنزلة التي احتلها في قلوبنا ، وفي الحياة عمومـــاً، فهو أعظمُ شخصية مرت في الوجود على الإطلاق، وهذه العظمةُ لا تكمنُ في أخلاقهِ فحسب بل في كلّ شؤونهِ ، فقد جمع – عليه الصلاةُ والسلام – كل عناصرِ العظمةِ في ذاتهِ الكريمة ، فما من ناحيةٍ من نواحي الحياةِ إلا كانَ فيها عظيماً ، كان في العلم والحكمةِ سيد العلماء والحكماء ، وكان في الخلق والأدبِ مثال الكمالِ ومضربَ الأمثالِ، وكان في الحُكم والرياســـةِ قدوة الرؤساءِ والأمراءِ ، لم يعرف التاريخ مثله في سياستهِ وحسن قيادته ، وكان في الحرب بطلاً لا يعرف الخوف ، رحيماً لا يعرف القسوة ، يضع الأمور في مواضعها ، فلا عجب حينئذ أن نرى المادحين له عبر العصور يرصعون قصائدهم ويزينون دواوينهم بمدح إمام الأنبياء مـــوقنين – فـــي الوقت ذاته – أنهم ما بلغوا مقصودهم ، وما حققوا غايتهم التي تهفو إليها أفئدتهم .

والمديح النبوي فن شعري ظهر منذ بزوغ الإسلام ، وكان لـــه دوره المهم في خدمة الدين الإسلامي ونشر دعوته، وعـــرف مجموعـــة مـــن الصحابة بمدح النبي –صلى الله عليـــه وســـلم–فـــي أوصـــافه وأخلاقـــه وجهاده...ولعظمةِ شخصية الرسولِ –صلى الله عليه وسلم– ظل الشعراء على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ينظمون الأشعار ويدبجون القصائد حول شخصيته الفذة، وسيرته العطرة .

وتكمن أهمية الدراسة في أن شعر نصارى العرب حـــول شخصـــية محمد –صلى الله عليه وسلم– بحاجة إلى دراسة علميـــة تبـــين بواعـــث الإعجاب بالرسول الكريم وكذلك تبين اتجاهات هذا الشعر الفنية وتُعـــرف بشعرائه لأن النتاج الشعري لدى شعراء النصارى في مدح نبي الأمة لـــم ينل حظه من البحث والدراسة واهتمام المثقفين بالقدر الذي يتناسب مـــع كثرته ومكانته. وتهدف الدراسة إلى إيضاح معالم شعر النصارى حـــول

شخصية الرسول –صلى الله عليه وسلم– (موضوعاً وفناً)، و إبراز بواعث شعر النصارى العرب حول الرسول وموضوعاته وما يحمله من قيم فنيه مهمة .

وكان من أبرز الصعوبات التي واجهتها في هذه الدراسة ندرة الدواوين الشعرية الخاصة بشعراء النصارى ، وفقدان بعض الدواوين التي طبعت منذ زمن بعيد مما جعلها في حكم المفقودة .

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

التمهيد :تناولت فيه نشأة المدائح النبوية عموماً.

أما الفصل الأول: فقد اختص بالبواعث التي دفعت نصارى العرب إلى الإشادة والإعجاب بشخصية الرسول(صلى الله عليه وسلم)، وفيه ثلاثة مباحث ، تناول المبحث الأول: الباعث الثقافي ، والمبحث الثاني : الباعث الاجتماعي ، والمبحث الثالث : تناول الباعث السياسي .

أما الفصل الثاني: فقد اختص بموضوعات شعر نصارى العرب حول شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويضم خمسة مباحث ، تناول المبحث الأول : مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، والمبحث الثاني: كان عن معجزة الإسراء والمعراج ، والمبحث الثالث : تناولت فيه الهجرة النبوية ، والمبحث الرابع :عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وجوانبه الإنسانية ، ثم خصصت المبحث الخامس : للحديث عن غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) في شعر نصارى العرب المحدثين .

أما الفصل الثالث: فقد اختص بالدراسة الفنية ويضم ثلاثة مباحث ، تناول المبحث الأول : الحديث عن اللغة من حيث الألفاظ والتراكيب ، والمبحث الثاني : عن الصورة الشعرية ويتناول مصادر الصورة الشعرية في شعر النصارى حول شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ويأتي المبحث الثالث للحديث عن الموسيقى (الخارجية والداخلية) ، وأنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، وتلا ذلك فهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

هذا والحمد لله أولاً وأخيراً .

تمهـــيد

نشأة المـــدائح النبوية

ظهر نوع خاص من المديح في الشعر هو المديح النبوي منذ عصر صدر الإسلام ، وهو باب من الأدب الوجداني الذي يصدر عـــن قلـــوبٍ مفعمة بالإيمان عامرةٍ بالصدق ، والمديح النبوي فن شعري واسع يعبـــر عن عواطف الشعراء النقيّة ، وأحاسيسهم الوجدانية الصافية ، حيث وقف شعراء المسلمين تجاه الرسول (ﷺ) " مادحين ومدافعين وذاكرين فضله ، وعظمة الرسالة الإسلامية التي بعث بها هداية للعالمين " [١] .

ومدْح الرسول –عليه الصلاة والسلام – معروف في الشعر العربي علـــى امتداد عصوره ، وقد مدحه في حياته (ﷺ) عدد من الشـــعراء ، وفـــي مقدمتهم كعب بن زهير [٢]الذي نظم قصيدته الشهيرة بـــ(بانت سعاد) في الاعتذار إلى الرسول (ﷺ) ومدحه ، وكان مما قاله كعب بن زهير فـــي قصيدته في الثناء على الرسول (ﷺ) والمهاجرين :

إنّ الرّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضاءُ بـــهِ ... مُهَنّدٌ مِـــنْ سُـــيوفِ اللهِ مَسْـــلُولُ

في عصبةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قالَ قائلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكّةَ لَمّـــا أسْـــلَمُوا زُولُـــوا

زالُوا فمَا زالَ أَنْكاسٌ ولا كُشُفٌ ... يومَ اللّقـــاءِ ولا ســـودٌ مَعازيـــلُ

شُمُّ العَرانِينِ أبْطـــالٌ لُبوسُـــهُمْ ... مِنْ نَسْجِ داود في الهَيْجَا سَرابيلُ[٣]

---

(١) د. ناظم رشيد : المدائح النبوية في أدب القرنين السادس والسابع للهجـــرة ، ط١ ، مطـــابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ٢٠٠٢م ، ص٨١.

(٢) شاعر جاهلي، من أهل نجد ، أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوام ، كلهم شعراء، لما ظهر الإسلام هجا النبي (ﷺ) وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي (ﷺ) دمه ، فجاءه كعب مستأمناً ، وقد أسلم وأنشد لاميته المشهورة فعفا عنه النبي (ﷺ) وخلع عليه بردته توفي عام ٢٦هـــ (انظر : ابن قتيبة : الشـــعر والشـــعراء ، تحقيـــق: أحمـــد شـــاكر ، ط٢ ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ١٤٢٣هـــ ، ص٦١)

(٣) كعب بن زهير : ديوانه ، دراسة وتحقيق: د. سامي مكي العاني ، ط٢ ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ١٩٩٧م ، ص ١٤٧ .

وقد عدّ بعض الدارسين هذه القصيدة " الأساس الذي انطلق منه شعراء المدائح النبوية إلى الآفاق الجديدة من المعاني التي تضمنتها قصائدهم "[١] فقد اهتموا بها اهتماماً كبيراً وعدوها من أجلِّ ما نظم في مدح الرسول ﷺ [٢] ، والإشادة به .

وفي العصر الأموي ظل التناول الشعري للرسول (ﷺ) لدى شعراء عصر بني أمية مرتبطاً بآل البيت ، فهم يمدحونهم ويدافعون عنهم ، وقد يشيرون إلى الرسول (ﷺ) ويثنون على شمائله وسجاياه في قصائد ومقطوعات ، وأكثر شعراء هذا العصر مدحاً لآل البيت وتعداداً لمناقبهم (الكميت بن زيد الأسدي) [٣] الذي وقف (هاشمياته) كلها –على مدحهم وحث الناس على مناصرتهم والوقوف معهم ، يقول في مدح الرسول (ﷺ) :

بكَ اجتمعتْ أنسابُنا بعدَ فرقةٍ فنحنُ بنو الإسلامِ نُدعى ونُنسَبُ
وبُوركتَ مولوداً وبُوركتَ ناشئاً وبُوركتَ عندَ الشيبِ إذ أنتَ أشيب
وبُورِكَ قبرٌ أنت فيهِ وبُورِكتْ بهِ ولهُ أهلٌ لذلكَ يثرب[٤]

ومن شعراء المديح في العصر العباسي ، الشاعر (دعبل الخزاعي)[٥]

(١) د. السيد إبراهيم محمد : قصيدة " بانت سعاد " لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦م ، ص٢١٤.

(٢) د. محمود علي مكي ، المدائح النبوية ، ط١ ، دار غوبار للطباعة ، القاهرة ، مصر ١٩٩١م ص١٢، بتصرف .

(٣) ولد عام ٦٠ هـ ، شاعر من أهل الكوفة ، اشتهر في العصر الأموي ، كان ملماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها ، من شعراء مضر ، كان معروفاً بالتشيع لبني هاشم ، كثير المدح لهم ، أشهر شعره " الهاشميات " ، توفي عام ١٢٦ هـ ، (انظر : خير الدين الزركلي : الأعلام ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٢م ، ٦ / ٢٣٣) ..

(٤) أحمد بن ابراهيم القيسي : شرح (هاشميات الكميت بن زيد الأسدي) ، تحقيق : د . داود سلوم ، ود. نوري القيسي ، ط٢ ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦م ، ص٤٥

(٥) دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، ولد عام ١٤٨هـ ، أصله من الكوفة ، أقام ببغداد كان صديق البحتري ، صنّف كتاباً في " طبقات الشعراء " توفي عام ٢٤٦هـ (انظر : شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، ط١ ، دار صادر بيروت ، لبنان ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ١/١٧٨) .

صاحب التائية " التي هي من أشهر قصائده ، وأبقاها على الزمان وأجدرها بالخلود " [١] وقد عبر فيها عن مشاعره تجاه أهل البيت ثم دافع عنهم ، وأشار فيها إلى الرسول ، يقول دعبل :

مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مُقفِرُ العرَصَاتِ
لآلِ رسولِ اللهِ بالخيفِ من مِنى وبالركنِ والتعريفِ والجَمرات
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ وحمزةَ والسَّجاد ذِي الثَفنَات[٢]
هُمُ أَهْلُ مِيرَاثُ النبيِّ إذا اعتَزوا وهمُ خيرُ قادات وخيرُ حماةِ
وإنْ فخروا يوماً أتوا بمحمدٍ وجبريلَ والفُرقانِ ذي السُوراتِ
ملامكَ في أهل النبيِّ فإنهمْ أحبَّايَ ما عاشوا وأهلِ ثقاتي[٣]

وهذه القصيدة مليئة بالتفجع والتحسر على آل البيت ، وقد كان لها صدى واسع في أكثر العصور الأدبية فيما بعد .

ومن شعراء المديح النبوي الشاعر (محمد بن سعيد البوصيري)[٤] الذي عاش في بداية العصر المملوكي ، فهو أول من فتّق هذه المدائح واشعل فتيلها ، وقد نظم قصائد عديدة في مدح الرسول (ﷺ) ، أشهرها قصيدته : الميمية ؛ وتسمى البردة ، وقد أجمع بعض الدارسين على أنها أفضل قصيدة في المديح النبوي [٥].

---

(١) د . زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي ،ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص١٠٠.

(٢) السجاد: هو علي بن الحسين السجاد (من أئمة الشيعة) .

(٣) دعبل الخزاعي : ديوانه ، شرح : حسن حمد ، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ، ص٤٠-٤٣ .

(٤) ولد في قرية "دلاص" إحدى قرى بني سويف من صعيد مصر ، في عام ٦٠٨هـ ونشأ في قرية "بوصير" القريبة من مسقط رأسه ، ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة حيث تلقى علوم العربية والأدب ، حفظ القرآن في طفولته وتتلمذ على عدد من أعلام عصره ، وأفرغ طاقته وأوقف شعره وفنه على مدح الرسول (ﷺ) ، توفي عام ٦٩٦هـ . (انظر : محمد بن سعيد البوصيري : مقدمة ديوانه ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني ، ط٢ ، ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ص٥-٢٤) .

(٥) انظر : د . زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي ، ص١٢٥، بتصرف .

وقد بدأ البوصيري ميميته بالنسيب ثم خلص إلى مدح الرسول (ﷺ) وكان مما قال فيه (النبي) :

مُحمَّدٌ سيدُ الكونينِ والثقليـــ ـــنِ والفريقينِ من عُرْبٍ ومن عَجَمِ
فإنّ فضلَ رسولِ الله ليسَ لهُ حدٌّ فيعـــربُ عنـــهُ نـــاطقٌ بِفَـــم
كأنَّهُ وهو فردٌ من جلالتـــهِ في عسكرٍ حينَ تلقاهُ وفي حَشَم[١]

وطبعي أن يتغنى شعراء الأندلس بمدائح الرسول (ﷺ) شأنهم في ذلـــك شأن الشعراء في جميع الأقطار العربية والإسلامية . فـــ (ابـــن جـــابر الأندلسي)[٢]" شيخ رائد في المديح النبوي من حيث النوعية والكمية "[٣] ، وله في هذا مجموعة كبيرة، منها قصيدة بدأها – كعادة الشعراء – بالغزل، ثم ضمنها مديحاً نبوياً ، وفصّل القول في شمائل الرسول (ﷺ) وإســـرائه ومعراجه ومعجزاته ...يقول فيها :

يا أهلَ طيبةَ في مغناكُم قمـــرٌ يهدي إلى كل محمودٍ من الطـــرق
كالغيثِ في كرمٍ واللّيث في هممٍ والبدرِ في شرفٍ والفجرِ في فَلَق[٤]

وقد شهد العصر الحديث حشداً هائلاً من نصوص المديح النبـــوي ، ويعود السبب في ذلك إلى واقع المسلمين المرير ، وما آلت إليه حياتهم من تدهور وتمزق وضعف وتناحر ، فقد تداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، وأغرقتهم الخلافات والمحن ، فم يجد الشـــعراء بُـــداً مـــن الاحتفاء بالرسول (ﷺ) والثناء عليه والتوسل إلى الله بـــه ، واســـتعراض

(١) البوصيري : ديوانه ، ص٢٤٠-٤٤٢ .
(٢) ولد في عام ٦٩٨هـــ ، في مدينة المرّية في الأندلس ودرس فيها وأخذ عن شيوخها ، رحل إلى مصر ثم غادر إلى دمشق عام ٧٤١هـــ وسمع من شيوخها ثم انتقل إلى حلب وأقام فيها حتى توفي عام ٧٨٠هـــ . (انظر : ابن جابر الأندلسي : نظم العقدين في مدح سيد الكونين ، تحقيق : د. أحمد فوزي الهيب ، ط١ ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ، دمشق ، سوريا ٢٠٠٥م ، ص ٨- ١٠)
(٣) غازي شبيب : فن المديح النبوي في العصر المملوكي ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ١٤١٨هـــ / ١٩٩٨م ص١٤١ .
(٤) ابن جابر الأندلسي : نظم العقدين في مدح سيد الكونين ، ص٩٦ .

سيرته وتذكر عصره الميمون المليء بالانتصارات والفتوحات الخالدة ، وأول من ابتدأ نظم المدائح النبوية في هذا العصر رائد النهضة الشعرية الحديثة : الشاعر (محمود سامي البارودي)[١] الذي ألف غير قصيدة في مدح سيد الخلق منها مطولته التي سماها (كشف الغمة في مدح سيد الأمة) والتي بلغت (٤٤٧) بيت ، وقد ضمنها سيرة الرسول (ﷺ) من مولده إلى يوم انتقاله إلى جوار ربه ومطلعها :

يا رائدَ البرقِ يمِّم دارةَ العلمِ واحدُ الغمامَ إلى حيّ بذِي سلَمِ[٢]

ثم يقول :

ولي بحبِ رسولِ اللهِ منزلةٌ أرجو بها الصفحَ يوم الدينِ عنْ جرمي
لا أدّعي عصمةً لكن يدي عَلِقتْ بسيّد من يردْ مرعاتهُ يَسلمِ[٣]

وقد أصبحت المدائح النبوية على مر العصور – حتى عصرنا الحاضر – تشترك في معانٍ واحدة ، وتتردّد فيها أفكار متماثلة ، ووجد الشعراء النصارى أنفسهم مدفوعين إلى هذه المعاني والأفكار دفعاً ، دون أن يحاولوا – في كثير من الأحيان – تجديداً أو ابتكاراً ، بحيث يمكننا أن نلخص المحاور التي كانوا يدورون فيها ، بعد أن استقر أمرها ، وتركز أساسها ، في العناصر الآتية التي ينطلق منها شعراء هذا الفن أو يحومون حولها :

---

(١) ولد في القاهرة عام ١٨٣٩م ، من أب جركسي / نسبته إلى إيتاي البارود بمصر ، درس في المدرسة الحربية ورحل إلى الاستانة فأتقن التركية والفارسية وعاد إلى مصر وتقلب في مناصب انتهت إلى رئاسة النظار ، ولما حدثت "الثورة العرابية " كان من صفوف الثائرين فحُكم عليه بالنفي إلى جزيرة " سيلان " حيث أقام فيها سبعة عشر عاماً ، عُفي عنه عام ١٨٩٩م ، فعاد إلى مصر ، وتوفي فيها عام ١٩٠٤م. (انظر: خير الدين الزركلي : الأعلام ، ٧ / ١٧١) .

(٢) محمود سامي البارودي : كشف الغمة في مدح سيد الأمة ، ط١ ، مطبعة الجريدة ، القاهرة ، مصر ١٣٢٧هـ ، ص٣ .

(٣) السابق ، ص٣ .

– مدح الرسول (ﷺ) وذكر شمائله ومعجزاته وغزواته والنظر إليه على أنّه أصلُ كلِّ خير ورحمة .

– حديث الشاعر عن نفسه الأمارة بالسوء وكثرة ذنوبه وقلة زاده وحاجته إلى شفاعة النبي ، والتوسل به إلى الله رجاء المغفرة ، وهنا يبرز تأثر شعراء النصارى بالمعاني الإسلامية في أماديحهم .

– عجز الشاعر عن توفية الرسول (ﷺ) حقّه من المدح والوصف فكل مدحٍ في النبي مقصرٌ وإن بالغ المُثني عليه وأكثر .وهذا البحث –غالباً– حلقة من سلسلة مدائح النبي غير أنها جاءت على لسان غير المسلمين من الشعراء المحدثين إعجاباً بشخص النبي وبهديه وشريعته وإنصافه حتى لغير المسلمين ،فانطلقت ألسنتهم تلهج بالثناء عليه ومدحه والإعجاب به .

الفصل الأول

بواعث الإعجاب بشخصيته (صلى الله عليه وسلم)

المبحث الأول : الباعث الثقافي

المبحث الثاني : الباعث الاجتماعي

المبحث الثالث: الباعث السياسي

المبحث الأول
الباعث الثقافي

إن تمجيد العظماء والمحسنين من الناس أمر جُبلت عليه النفوس ، وطبعت عليه القلوب من قديم الأزمان وأوائل العصور ، وسرى ذلك التعظيم لدى كافة الأمم ، ومختلف الدول الماضية والحاضرة.

لذا حُقَّ للشعراء – المسلمين والنصارى – أن يعجبوا بالرسول محمد ﷺ ويثنوا على أخلاقه الكريمة ، وأعماله الجليلة ، لأنه جدير بالثناء والإعجاب ، ذلك لأن إيتاء العظمة حقها أمر لازم في كل أوان ، ولعله في هذا الزمن وفي عالمنا هذا ألزم منه في أزمنة أخرى لسببين متقاربين :

الأول : أن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى معرفة المصلحين حتى يقتدي بهم .

والآخر : أن الناس قد اجترأوا على العظمة في زماننا بقدر حاجتهم إلى هدايتها .

"والرسول محمد –صلى الله عليه وسلم– أعظم العظماء بشهادة غير المسلمين لأنه قدوة المقتدين في المناقب التي يتمناها المخلصون لجميع الناس ".(١)

ولم يكن مدح الرسول ﷺ والإعجاب بشخصه حكراً على الشعراء المسلمين ، بل اهتم عدد من الشعراء النصارى في العصر الحديث بسيدنا محمد ﷺ وخصصوا قصائد كثيرة تتناول صفاته ، وتصور شخصيته ، والرسالة التي جاء بها للعالمين ، وقد تفاوتت رؤيتهم من شاعر إلى آخر ، وفقاً لظروف الشاعر وثقافته ورؤيته الفنية .

ويبرز سؤال حول السبب أو الدافع الذي يدفع شعراء لا يؤمنون برسالة النبي ولا بالدين الإسلامي أو بمحمد ﷺ رسولاً ، إلى نظم القصائد حول شخصيته أو عقيدته أو الإشارة إليها والإشادة بها في طيات قصائد أخرى.

---

(١) عباس محمود العقاد : عبقرية محمد ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٦٩م ، ص١٢ –١٣.

وبنظرة موضوعية ، وتتبع ما قاله هؤلاء الشعراء والظروف التي قالوا فيها قصائدهم نستطيع الحصول على إجابة عن هذا التساؤل ، إذ يرجع ذلك لأسباب عدة ، يأتي في مقدمتها السبب الثقافي ، وقد تعددت الروافد التي تغذيه وهي تتمثل في محورين :

أولاً : الانبهار بشخصية الرسول ﷺ :

أعجب الشعراء النصارى بالرسول ﷺ أيما إعجاب حتى أن منهم من تعلّق به : لأنه " مخلص ومنقذ وحامل أسمى رسالات الوجود " (١) .

ويمكن القول إن هذا الإعجاب يبرز " من خلال عاطفة موضوعية – إن صح التعبير – تقوم على أساس من المعالم والملامح الموجودة في شخصية النبي الكريم ﷺ تدفع الشاعر إلى إزجاء عواطفه الفياضة أو المحدودة تجاهه ، فيتحدث عنه حديث الواثق المستيقن مما يقول" (٢) .

وتجدر الإشارة إلى أن تناول الرسول ﷺ في شعر النصارى لا يعني بالضرورة الإيمان الكامل بالآخر (الإسلام)، ذلك أن الإسلام ليس ديناً فحسب ، بل حضارة يعيش فيها النصارى كأحد روافدها والمكونين لها قديماً وحديثاً ، وأسهموا في إرساء كثير من دعائم الخير والتسامح بين الأديان السماوية.

والعلاقة بين الدين والشعر علاقة متبادلة ،"فالشعر بما له من مكانة قوية استطاع أن يخدم الدين في ظروف كثيرة بنشر أهدافه والدفاع عنه ، كما استطاع الدين أن يمد الشعر بموضوعات جليلة ، وأن يلوّنه في كثير من الأحيان بألوان دينية مختلفة ". (٣)

---

(١) د. خالد محيي الدين البرادعي : المهاجرة والمهاجرون ، دراسة في شعر المهاجرين العرب إلى القارة الأمريكية ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، سوريا ٢٠٠٦م ، ٢ / ١٠٢٣ .

(٢) د. حلمي محمد القاعود : محمد ﷺ في الشعر الحديث ، ط١ ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٩٣.

(٣) د. ماهر حسن فهمي : شوقي وشعره الإسلامي ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ١٩٩٨م ، ص١٦ بتصرف.

ومن هنا فإن اعتراف النصارى بالإسلام ديناً سماوياً ، والتأكيد على صدق رسالة نبيه –عليه الصلاة والسلام– وتسليط الضوء على فضائله ؛ ليس معناه الدخول فيه ، وهو المراد بالركن الأول من أركان الإسلام كما هو المفهوم عند علماء العقيدة الإسلامية بنطق الشهادتين وما تضمنهما من إقرار اللسان وعقد القلب وعمل الجوارح ، إذ إن بعض النصارى في العصر الحديث أيقنوا بصحة الإسلام ، وبصدق نبيه والاعتراف بأنه خاتم الرسل ، ولكن ربما منعت بعضهم أهواء شخصية أو مخاوف كنسية وعقدية عن الاستسلام له ، فضلاً عن أن التعايش مع المسلمين والتعامل معهم ، يعد قبولاً ، وإقراراً بهم وبدينهم وبدولتهم الحاكمة .

"فإذا كان الإسلام بوصفه عقيدة ، ينحصر في علاقة المسلم بربه ، وقيامه بما يفرضه عليه إيمانه ، فإن الإسلام بوصفه حضارة قد شكل المناخ العام ، والأطر المرجعية للعربي بصورة عامة ، والإسلام يختزل في إنجازات الأمة العربية تاريخياً في الصعد كافة التي ساهمت فيها الجماهير العربية ، والمفكرون العرب ، بغض النظر عن انتمائهم لدين معين ". (١)

وما من شك أن إقرار النصارى برسالة محمد ﷺ من واقع أبياتهم الشعرية الآتية لم يكن خوفاً من حاكم ، أو مراعاة لواقع ، بل هو إدراك امتثل لحقيقة الدين الناسخ ، فضلاً عن أن الإنجيل بنصوصه غير المحرّفة قد نص على النبوة الكاملة لنبي الإسلام في أكثر من موضع ، وجاء القرآن نفسه شاهداً على ذلك : ((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ))(٢).

والشعر الذي تناول شخصية الرسول ﷺ عند النصارى العرب ،

(١) محمد راتب الحلاق : نحن والآخر، دراسة في الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ١٩٩٧م ، ص٥٠.

(٢) سورة الصف : ٦ .

يمثل الرؤية النصرانية المنصفة ، فقد تحدثوا عن الرسول ﷺ من منطلق الانبهار بشخصيته الفذّة ، ورسالته السمحة ، فلا يملكون إلا التعبير من مشاعرهم المتأججة وأشواقهم العارمة تجاه الرسول الكريم ﷺ فنظموا قصائدهم في مناسبات عدة كانت بمنزلة الفرصة للتعبير عن إعجابهم بشخصه الكريم ، كما نظموا في موضوعات أخرى ذات صلة بحياة الرسول الكريم (صلوات الله وسلامه عليه).

ولم يقف الأمر عند هذا بل إن هناك من بين الشعراء النصارى من تحدثوا عن تفاصيل حياة الرسول ﷺ في شعرهم مما يدل على مدى قراءتهم لسيرته العطرة فقد كتب الشاعر (إلياس قنصل)[1] مطولة بلغت عدة أبياتها ثلاثة وثمانين بيتاً مطلعها :

ماذا تهمُّ طوارقُ الحدثان[2]؟ خُلقَ الجهادُ لكل ذي وجدانِ[3]

"ويشعر متلقي هذه القصيدة أنه يقرأ مقاطع أو أجزاء من سيرة ابن هشام موزونة مقفاة تدفعها الحماسة ويزينها الاعتداد والفخر بالأصول والجدود ، ويبين فيها إعجابه بالرسول ﷺ ، وقد ألم فيها بتاريخ حياة النبي – عليه الصلاة والسلام – وكفاحه في سبيل نشر الدعوة وتصدِي المشركين له بالإيذاء بعد أن أغلقوا – لجهلهم وغرورهم – آذانهم حتى لا يستمعوا إلى ما أتى به من إصلاح فيه كل صلاح أحسوا أنه يتهدد مراكزهم – وتشتد

(١) ولد في بلدة يبرود ، سوريا ، عام ١٩١٤م ، هاجر عام ١٩٢٤م إلى البرازيل ثم انتقل إلى الأرجنتين ، عمل في المهجر في الصحافة ، من آثاره الشعرية : " ألحان الغروب "و " على مذبح الوطنية" و" السهام" ، وكتب مؤلفاً كاملاً أسماه " النبي العربي " إضافة إلى عشرات القصائد المتفرقة التي قرأناها له في الدوريات العربية يرسلها من أرض مهجره مخصصة للرسول الكريم توفي عام ١٩٧٨م .(انظر: الياس قنصل : مقدمة ديوانه : الحان الغروب ، ط١، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، ١٩٧٨م ، ص٥) .

(٢) الحدثان : هي النوائب والمصائب ، ابن منظور ، لسان العرب،ط٥، دار صادر ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٣م ، ١٣٢/٢، مادة (حدث) .

(٣) إلياس قنصل : الحان الغروب ، ص٩٨ .

عزيمة الرسول في الكفاح مع تزايد أذى الكفار حتى تحققت له المعجزة بالنصر" [١] .

إن تحليل هذا النص يظهر الصفات الإنسانية العالية التي خص الله بها نبيه ، فقد بدأ الشاعر (قنصل) نصه بتكثيف دلالات الصبر التي تمتع بها الرسول ﷺ في سبيل نشر دعوة الحق ، من خلال ثنائية صراعية تبرز في النص ، تتمثل بطرف مشرك قامع للحق ورسول كريم ألهمه الله –سبحانه وتعالى–

سبل الصبر المتنوعة ، يقول (إلياس قنصل) :

ظنَّ الذين توعدتْهم أنها ضربٌ من الوسواسِ والهذيانِ
فتجمعوا لنزالها ، وقلوبهم بالشرِ نابضةٌ ، وبالأضغانِ
إني ذكرتُك يا محمدُ مصغياً لحديثَ عمٍّ ناصحٍ حيرانِ
إني ذكرتك يا محمدُ ، والعِدا يتألبون تألبَ الذُؤبانِ[٢]
ويقضُّ تالدَ جهلهم وغرورهم صوتٌ يُفتِّحُ مغلقَ الآذانِ
فيلاحقونك بالترابِ وبالحصى وبكلِ وغْدٍ حانقٍ شنآنِ [٣]

فالطرف الأول وهم المشركون يبد أون معاداتهم للرسول – صلوات الله وسلامه عليه – بالشك في الرسالة التي أرسله الله ليبلغها للناس ، ولكن الشاعر يفتتح المقطع بالفعل (ظنّ) في محاولة منه للدلالة على فشل هذا الفعل ، فصاحب الظن هذا قد خاب أمله ، وذهبت أحقاده وأضغانه أدراج الرياح ، فالحق منتصرٌ دوماً ، ومن هنا تحضر دلالة التأكيد من قبل الشاعر لما يحمله الرسول ﷺ من قيم محتفياً بصبره على الأعداء ، وبصوت الحق الصادر عنه . الذي يمنحه قوة جبارة في تحمل ملاحقات المشركين له ، ثم يستحضر الشاعر صورة الحق الطرف الثاني في هذه

(١) د. نظمي عبد البديع: أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ١٩٧٦م ، ص٣٧٦ .

(٢) الذؤبان : اللصوص والصعاليك، لسان العرب ٣٧٨/١، مادة (ذأب) .

(٣) إلياس قنصل : ألحان الغروب ، ص٩٨ .

الثنائية متمثّلاً في صبره وجلده ﷺ وإصراره على تبليغ الرسالة فيقول :

وتظلُ تدعو لا تني لـك همـةٌ ... حتـى يـتمَ النصـرُ للـديّانِ
فرأيتُ معجزةَ العزيمة والرجـا ... دنيـا تـذلُّ لقـوةِ الإيمـانِ!
إني ذكرتك يـا محمـدُ مسـدياً ... نِعمَ الخطابُ إلى ذوي السـلطانِ
تُملى على التيجانِ وحيكَ ناصحاً ... بالرشـد والإصـغاء والإذعـانِ
لم يسمعوا قبل انبعاثِـكَ لهجـةً ... إلا وفيهـا حِطَّـةُ العُبـدانِ (١)

فمثار إعجاب الشاعر بالنبي الكريم هنا يعبر عنه بالفعل المضـارع (تظلُّ) الدال على الاستمرار والتجدد في الفعل ، فاستمرارية الرسـول – صلوات الله وسلامه عليه – وإصراره على تبليغ رسالة ربه جـل وعـلا لا يمنعه عنهما مانع ولا يعوقه عائق مهما تجبّر صاحبه وتكبّر ، ومن هذا الاصرار يرى فيه "معجزة العزيمة" التي تدل على قوة صبره ، ولكنها من طرف آخر مفعمة بقلب ممتلئ بالرجاء لرب العزة الذي يمده بها دوماً . ثم يقدم الشاعر مسوغاً آخر لإعجابه بشخصـية الرسـول – صـلوات الله وسلامه عليه – يتمثل بقدرته على مخاطبة الناس باختلاف طبقاتهم بمـا يقنعهم بالعقل والعاطفة ، وهنا يشير إلـى الرسـائل الناضـحة بالنصـح والإرشاد التي وجهها النبي ﷺ إلى ملوك عصره يدعوهم إلـى الإسـلام والتي يرى الشاعر أنها امتازت بلغة مختلفة في طياتها الرشـد والنصـح والتسامي فهي لذلك لغة جديدة مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي الذي جاء ليكمل مكارم الأخلاق .

ثم يتابع الشاعر (إلياس قنصل) مدحه الرسول ﷺ مبيناً القيم التـي جعلت منه مصدراً لإعجابه ولانبهاره به فيقول :

إني ذكرتك يـا محمـدُ ناشـراً ... روحَ الأخوة فـي بنـي الإنسـانِ
حقُ المواهبِ أن يُقـدَّر أهلُهـا ... لا فرق فـي الأجنـاسِ والألـوانِ
وذكرتُ ما كتب الفرنجُ وما بدا ... من حُكمهم فـي سـائر البلـدانِ

(١) – إلياس قنصل : ألحان الغروب ، ص٩٩ .

قالوا التساوي وادّعــوهُ وبينمــا أنيــابهم فــي أضــلع الحمــلانِ
فعرفتُ صدقكَ حين شمتُ نفاقهم ما الفحمُ مثل المــاس باللمعــانِ(١)

فالشاعر هنا يذكر الملامح المميزة لشخصية الرسول الكريم التــي تثير إعجابه وانبهاره ولعل الملمح الأهم هو النزعة الإنسانية القائمة على الأخوة والتساوي بين البشر ، فلا يُفضل الإنسان للونــه أو عرقــه فــي الإسلام ، وإنما عمله هو الذي يجعله مقدماً على غيره ، فلم يُضر بــلالاً ولم ينفع أبا لهب لون بشرتهما فالعمل والتقوى هما اللذان يرجحان كفــة ميزان العمل ، ثم يقارن هذه الشريعة السمحة التي أُرسل النبي محمــد – صلوات الله وسلامه عليه – بها لينشرها بين الناس ، وبين ما كتبه الغرب عن حقوق الإنسان ليصل إلى نتيجة تثير إعجابه ، مفادها أن هذه الشريعة السمحة التي جاء بها النبي الكريم هي شريعة نابعة مــن صــميم الــدين والإيمان عكس ما ادعاه الغربيون من تساوٍ ظاهر بين البشــر ، والواقــع يكشف عكسه .

ثم ينتقل الشاعر (قنصل) إلى مظهرٍ آخر من المظاهر التــي تثيــر إعجابه بالرسول ﷺ في نفسه ، وتتمثل في أن الرسول ﷺ قد هــدم كــل مظاهر الكفر والشر والعدوان وقضى على عبادة الأوثــان وأمــن شــر المعتدين ليبني كل ما أشاد بيد تنشر التسامح والعفو والهــدى والضــياء يقول:

إني ذكرتُك يا رســولُ مقــابلاً أسراكَ : أسرى الشك والعصــيانِ
لم يظفروا بك مثلما شاءوا ولــو ظفروا ، لجــدَّ الحقــدُ بالغليــانِ
وظفرت أنت فلم تشأ تجــريمهم أو رمــيهم بمعــرَّةٍ وهــوانِ(٢)
ما كان صفحك صفحَ واهٍ خائفٍ بل كان صفحَ القــادر المحســانِ
وبنيت أعظم دولة نثرت علــى قاصي الوجود صلاحها والداني(٣)

(١) إلياس قنصل : ألحان الغروب ، ص١٠٠ .
(٢) معرّة : الأذى، لسان العرب ، ٥٥٦/٤ ، مادة (عرر) .
(٣) إلياس قنصل : الحان الغروب ، ص ١٠١ – ١٠٢ .

فالإعجاب هنا بالتطبيق العملي ، لمقولة : "العفو عند المقدرة " والـدرس الأخلاقي الذي تقدمه شخصية الرسولﷺ يثير إعجاب الشاعر كما أثارت إعجاب كل منصف قرأ السيرة النبوية الشريفة فلا بطـش ولا تنكيـل ، ولا حقد ولا ضغينة ، إنما سماحة تثير الإعجاب ، وعفو يبدد حقد النفوس عند أعدائه الذين تصدوا للدعوة بشراسة ، وهنا يؤكد الشاعر على قيمـة مهمة وهي أن الصفح جاء من المنتصر القوي لا المهزوم الضعيف وهنا يكمن الإعجاب ، ثم يؤكد أن هذه القيم هي التي عززت دولة الإسـلام ، وأفضت إلى انتشارها في مشرق الأرض ومغربها .

ثم ينتهي الشاعر من مطولته بوصفها باقة تُهدى إلى رسول الله من شاعرٍ حرٍّ منصف ، رأى الحق فأشار إليه بلسان الحق ، فيقول :

هي باقةٌ تُهدى إليـكَ زهورهـا ... من خير ما يزهـو بـه بسـتاني
فإذا أحـدَّ الحاسـدون أظـافراً ... عانيت كـامنَ حقـدها وأعـاني
فليغنموا صبري ، فإني مغمضٌ ... عن شرهم وصَغَارهم أجفـاني[1]

فالشاعر هنا يؤكد أن الحق هو الذي دفعه إلى إرسال هذه الباقة من الأبيات إلى الرسول ﷺ ومن ثم يؤكد أن كيد المعارضين له لن يؤثر في نفسـه ، لأنها تتمتع بقدرة فائقة على التغاضي عن حسد الحسّاد وشـر الأشـرار وجهلهم حقائق الأمور .

ويفخر الشاعر (رشيد أيوب)[2] بالرسول ﷺ وبالعرب أجمعين خاصـة أن النبي محمداً عربي قد بعث بينهم يأمر بالعدل وينهى عن المنكر فقادهم إلى أسمى درجات المجد فيقول:

فنحنُ بنو الأعرابِ كنا ولم نزل ... بما خصّنا المولى نفوقُ الأجانبَـا

(١) السابق : ص ١٠٣- ١٠٤ .

(٢) ولد في بسكنتا (لبنان) عام ١٨٧١م ، هاجر إلى أمريكا الشمالية ، له دواوين " الأيوبيات – أغاني الدرويش – هي الدنيا " ، توفي في نيويورك عام ١٩٤١م .(انظر : جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ،ط٤، مكتبة السائح ، طرابلس ، لبنان ١٩٩٩م ، ص ٢٨٨) .

فمن يا تُرى أعلى الورى كمحمدٍ وأرفعهم مجداً وأسمى مناقبَا[١]

"ولا شك في أن تفاخر (رشيد أيوب) بانتسابه إلى العرب الذين منهم " محمد ﷺ تسامحٌ في الروح قلَّ أن نجد نظيره عند غيره من الشعراء النصارى" .[٢]

ويمتد إعجاب الشعراء النصارى إلى الإشادة بصفات الرسول ﷺ وفضائله وأخلاقه من كرم وتقى وزهد وشجاعة ، ومدى تأثيره في الحياة الإنسانية عامة ، والعربية خاصة ، كما نلحظ ذلك في إعجاب الشاعر (نقولا حنا)[٣] الذي عبر عن ذلك في قصيدته " من وحي القرآن" فقال :

دعاهُم إلى الإيمانِ بالله وحدَه رسولٌ شريفُ النبعتينِ همامُ
محمدُ خيُر الخلقِ من آل هاشمٍ نبيٌّ كريمٌ والجدودُ كرامُ
أنارَ عقولاً أوغلتْ في ضلالها وأزرى بنور البدرِ وهو تمامُ
تقيٌّ نقيٌّ زاهدٌ متهجدٌ عزيزٌ أبيٌّ ليسَ فيهِ ملامُ
شجاعٌ كريمٌ لا يُخيِّب سائلاً ولا عن غياثِ المستجيرِ يَنامُ
عفيفٌ يفيض الطهرُ من نورِ وجههِ حبيبٌ مهيبٌ منذ كان فطامُ

فالشاعر يحتفي بالسجايا الكثيرة التي يتمتع بها رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – هذه السجايا التي جعلت منه خير الخلق ، واحتفاء الشاعر بهذه السجايا دليل على اطلاع دقيق على السيرة النبوية وقراءة عميقة لها ولّدت إعجاب الشاعر بهذه الصفات واحتفاءه بها فحاول رصد كثير منها في قصيدته في محاولة لإظهار مسوغات الإعجاب بهذه الشخصية العظيمة .

---

(١) رشيد أيوب ، الأيوبيات ، ط١ ، طبعة نيويورك ١٩١٦م ، ص٣٧.

(٢) نادرة جميل السراج : شعراء الرابطة القلمية ، ط١ ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٧م ، ص٢٠٢

(٢) ولد في عكا (فلسطين)عام ١٩٢٣م، تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي في عكا، وبعد وقوع النكبة عام ١٩٤٨م ، هاجر مع أسرته الى سوريا ، له ديوان " الأرض والوطن " ، من مؤلفاته : " التحقيق "، و " فهرس لمفردات القران الكريم " ، توفي في دمشق عام ١٩٩٩م . (انظر : معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرون ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ١٩٩٨م ، ١٠٢/٥) .

وقد حاول كثير من الشعراء النصارى في سياق حديثهم عن الرسول ﷺ أن يقدموا مسوغات منطقية تبرز سبب إعجاب هؤلاء الشعراء بشخصية النبي الكريم ، وهذا ما يمكن أن نلحظه بشكل بارز عند الشاعر (عبد الله يوركي حلاق)[١] في قصيدته "قبس من الصحراء " التي يشيد فيها بالنبي وشخصيته الحاضرة باستمرار ، فسيرة الرسول الأمين محفورة على شغاف قلبه ، وعلى جدران ذاكرته ، وأن القرآن الذي حمله إلى العالمين بدّد الظلم وظلام الجهل ، وأنهى عبادة الأوثان ، وبنى للعرب مجداً لا ينتهي فيقول :

إنِّي مسيحيٌّ أُجلُّ محمداً ... وأراه في سفرِ العُلا عنوانا
وأُطأطِئ الرأسَ الرفيع لذكر من ... صاغ الحديثَ وعلّم القرآنَا
إنِّي أباهي بالرسول لأنه ... صقل النفوسَ وهذَّب الوجدانَا
ولأنه داس الجهالةَ وانتضى ... سيفَ الجهادِ فحطَّم الأوثانَا
ولأنه حفظَ العروبةَ وابتنى ... للعُرْب مجداً رافق الأزمانَا[٢]

فالشاعر يبين في أبياته سبب إجلاله للنبي ﷺ ،فكل مسوغات الحب قد اجتمعت في شخصيته الكريمة مما يجعل العربي سواء أكان مسيحياً أم مسلماً يعجب به ، ومن هنا نرى الشاعر يباهي بالرسول ﷺ فهو الذي هذب المشاعر ، وصقل النفوس وهو الذي جاهد في سبيل إعلاء كلمة الله والقضاء على الشرك وهو الذي قدّم مجداً للعرب متمثلاً برسالة الإسلام التي نشرها في العالم .

(١) ولد في مدينة حلب (سوريا) عام ١٩١١م ، حصل على دبلوم الصحافة من القاهرة ، عمل في التعليم ، صاحب مجلة "الضاد" ،كان عضو اتحاد الكتاب العرب ، صدر له العديد من الدواوين الشعرية منها : " حصاد الذكريات" و " عصير الحرمان" ، توفي في حلب عام ١٩٩٦م. (انظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ،ط١، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ١٩٩٥م ، ٣/ ٤١٢) .

(٢) عبد الله يوركي حلاق : حصاد الذكريات ، ط١، مطبعة الضاد ، حلب ، سوريا ١٩٦٦م ، ص١٨٩ .

ثم يأتي (شفيق معلوف)[١] فيضع شخصية النبي ﷺ فوق كل شخصية بشرية جاعلاً منها المثل الأعلى والأنموذج البشري المتكامل فيقول :

ولم أرَ كالرسولِ أعز قدراً وأرفع سُدّةً وأجلّ قدراً[٢]

ويرى (زكي قنصل)[٣]في شخصية النبي ﷺ رمزاً للحضارة الإسلامية بكل بكل معطياتها الثقافية والفكرية بدعوته الإنسانية وتعاليمه السمحة ويضع رؤيته في هذا الملمح الاستدعائي في شخصية النبي ﷺ فيرى أن الأخلاق النبوية كانت السبب الرئيس في انتشار الدعوة الإسلامية والحضارة الإنسانية العامة ، فيقول :

لو لم يحط أحمدٌ بالخلقِ دعوته لم يكتب الفتحُ للإسلام والغَلبُ[٤]

ويكرر هذا الملك مؤكداً أهميته يقول :

لو كان أحمدُ فظّ القلبِ لابتعدت عنه القلوبُ فلم يربحْ سوى التعبِ[٥]

فقد كانت شخصية النبي ﷺ من أكثر الشخصيات استحواذاً على خيال الشعراء النصارى ، لما رأوا فيها من مُثُل وقيم هيمنت على مشاعرهم

---

(١) ولد في زحلة (لبنان) عام ١٩٠٥م ، تعلم فيها حتى تخرج من الكلية الشرقية ، ثم انتقل إلى دمشق ، هاجر عام ١٩٢٦م إلى البرازيل ، شارك في تأسيس العصبة الأندلسية ، وتولى رئاستها ، صدر له : " لكل زهرة عبير " و" سنابل راعوث " ، توفي عام ١٩٧٦م ، (انظر : جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، ص ٣٤٥، واحمد قبش : تاريخ الشعر العربي الحديث ،ط١، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ١٩٧١م ، ص٣٤٥) .

(٢) شفيق معلوف : سنابل راعوث ، قصائد مختارة ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، لبنان ١٩٦١م ص١٤٧.

(٣) ولد في الأرجنتين عام ١٩١٦م ، انتقل إلى سورية عام ١٩٢٢م ، ثم هاجر إلى البرازيل ، ثم انتقل إلى الأرجنتين ، أصدر في حياته عدداً من الدواوين الشعرية : "شظايا" و" سعاد" و" نور ونار " ، وبعد وفاته نشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة الأعمال الشعرية الكاملة في ثلاثة مجلدات ، توفي في الأرجنتين عام ١٩٩٤م . (انظر : زكي قنصل : مقدمة ديوانه ، تدقيق : إبراهيم جمعه، ط١، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ١٩٨٦م، ص٧) .

(٤) زكي قنصل : الأعمال الشعرية الكاملة ، كتاب الاثنينية رقم (٢) ، ط١، الناشر عبدالمقصود محمد سعيد خوجة، جدة، السعودية ١٩٩٥م ، ٢ / ٥١٣ .

(٥) السابق ٥٤٢/٢ .

وأحاسيسهم ولم يجدوا مثيلاً يعادلها في السمو والرفعة .

وللشاعر (نصر سمعان)[١] أكثر من قصيدة في المديح النبوي ومنها قصيدة بعنوان " وانحنى الصبح " يمجد فيها النبي ﷺ معلياً من شأنه ، وشأن رسالته السماوية كاشفاً عن بعض ما اتصفت به دعوته ، وأثرها في مسيرة التاريخ ، حتى افتخر به الزمان يقول من قصيدة " وانحنى الصبح" :

أرهف الدهر للنبوة سمعهْ وازدهى بالنبي مجداً ورفعةْ
وانحنى الصبحُ خاشعاً حول مهدٍ فيه ما فيه من جلالٍ وروعةْ[٢]

وينعطف الشاعر بعد ذلك ليتحدث عن القرآن الكريم وما فيه من إعجاز ، مبرزاً بعض خصائصه ، فقد وقع القرآن الكريم موقعاً سامياً من الشعراء النصارى ، فعظموه ومجدوه ، وأعلوا شأنه في نفوسهم وفي نتاجهم الشعري ، إذ يعد من أوسع الروافد الإسلامية التي استقى منها أولئك الشعراء ثقافتهم ، حتى انعكست آثاره على شعرهم حول شخصية الرسول ﷺ وهذا ما نلمحه في المحور التالي.

ثانياً : الانبهار بالقرآن الكريم :

تتنوع المعجزات كثيراً من نبي إلى نبي ومن قوم إلى قوم ، وذلك بحسب حال القوم الذين يبعث فيهم النبي ، ويُرسل إليهم الرسول ، فيجعل الله تعالى المعجزة لكل نبي وثيقة الصلة بخبرة قومه ، فكان كل نبي يتحدى قومه بأفضل ما أتقنوه وبرعوا فيه ليعلموا أن هذه المعجزة ليست مما أتقنوه ولا يمكن أن تبلغها طاقتهم ، فيكون ذلك أدل على عجزهم وصدق

(١) ولد في بلدة القصير في حمص (سوريا) عام ١٩٠٥م ، درس المرحلة الابتدائية في بلدته ، هاجر إلى البرازيل ١٩٢٠م ويعد شاعر النادي الحمصي ، طبع ديوانه بعد وفاته بعنوان " ديوان نصر سمعان شاعر العروبة " ، توفى في البرازيل عام ١٩٦٧م . (انظر : نصر سمعان : مقدمة ديوانه ، نسقة وأشرف على طباعته وقدم له : رشيد شكور ، ط١، دار المراحل للطباعة والنشر ، البرازيل ١٩٧٢م ، ص١٢ .

(٢) نصر سمعان : ديوان نصر سمعان شاعر العروبة ، ص٨٦-٨٧ .

نبيهم فيبادر إلى الإيمان أهل الصدق والاستعداد للحق ، ولما كان العرب قوم بيان وبلاغة كانت معجزة النبي محمد ﷺ الكبرى هي القرآن الكريم ووجه الإعجاز البلاغي كان أحد أوجه الإعجاز فيه . وقد أُعلن إعجاز القرآن على العالم من أعظم مصدر ثابت وهو القرآن نفسه ، حيث نادى على رؤوس الأشهاد يتحدى الناس بل العالم أن يأتوا بمثله ، قال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) [١] . فقد كان القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ التي قدمها للعرب وهم أرباب فصاحة وبيان ، فعجزوا عن الإتيان بمثلها أو بمثل بعضها ، ومن ثم أصبح القرآن الكريم ولغته العربية مدخلاً لمدح الرسول ﷺ يشيد به الشعراء النصارى لكونه أفصح العرب وأحسنهم بياناً وأقدرهم أداءً ، لذا نرى الشاعر (جورج سلستي) [٢]، حين أراد أن يمدح الرسول ﷺ يشعر بالتقصير في وصفه والإشادة به ، لأنه – الشاعر– عاجز عن البيان والتعبير أمام رب البيان والتعبير ، أو صاحب" الأداء الفذ " :

يا سيدي ، يا رسولَ الله معذرةً إذا كبَا فيك تبياني وتعبيري
ماذا أوفيك من حقٍّ وتكرمةٍ وأنت تعلو مدى ظنّي وتقديري؟
وأنت ربُ الأداء الفذِّ في لغةٍ تشأو اللُّغى حُسن تنميقٍ وتصويرٍ![٣]

ويشير الشاعر إلى المعجزة الخالدة " القرآن " التي جاءت على لسان الرسول ﷺ فأعجزت الشعراء وسحرت ألبابهم ،فهو آيات من عند الله

(١) سورة الطور : ٣٣-٣٤ .

(٢) ولد في مدينة حمص (سوريا) عام ١٩٠٩م ، عاش في سوريا ولبنان ، تلقى تعليمه الابتدائي في بيروت ورأس المتن ، له ديوان شعر مخطوط في حوزة نجله ، توفي في بيروت عام ١٩٦٨م .(انظر : عبد القادر عياش : معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين ، د.ت، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ١٩٨٥م ، ٣/ ٩٠ ، ومعجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ٣/ ٩٨.

(٣) مجلة الرسالة العدد (٩١٣) ، الاثنين ٢٢ ربيع الأول ١٣٧٠هـ /١٩٥١م، السنة التاسعة عشرة، القاهرة، مصر، ص١٨. اللّغى : جمع لغة ، وتجمع على لغات ولغون ، لسان العرب ١٥ / ٢٥٢ ، مادة (لغى) .

خالدة تعيي كل أعلام البيان وتعجزهم، ويشبه الشاعر الآيات بالنور المتألق الذي يعم العالم كله والناس كلهم ،كما تعم الأعاصير الهائجة كل تراب الأرض:

على لسانك ما جُنَّ البيانُ بـه ... وأقعدَ الشعرَ يرنو شبه مسحورِ
آيٌ من الله ما ينفكُّ مُعجزها ... يُعيي على الدهر أعلام النحاريرِ
تلوتَها فسرَتْ كالنورِ مؤتلقا ... يطوي الدُّنا بين مأهول ومهجورِ
ولفَّتْ الناسَ من بدوٍ ومن حضر ... كما تلفُّ الثرى هُوجُ الأعاصيرِ(١)

إذن فالإشادة ببيان الرسول ﷺ ترتبط بالمعجزة القرآنية الخالدة ، وهو ما يؤكده معظم الشعراء النصارى في حديثهم عن الرسول ﷺ كما نرى عند الشاعر (رياض معلوف)(٢)عندما يقول :

سورٌ في كلامها نفحاتُ ... تسحَرُ العقل من بديع الكلامِ
وهي سلكُ اللآلى نسيقٌ ... فيه آياتُ شرعةِ الإسلامِ(٣)

فهنا تأكيد على الإعجاز البياني وعلى تأثير هذه السور في نفس المتلقي فلها تأثير السحر لكنه السحر الحلال الذي يبهر عين الناظر بدقة نظمه وروعة بيانه .

ثم إننا نتقدم خطوة أفضل حين نطالع قصيدة "الرسول العربي " للشاعر

(١) مجلة الرسالة ، ص١٨.

(٢) ولد في زحلة (لبنان) عام ١٩١٢م ، تعلم في زحلة ودمشق وبيروت ، هاجر إلى البرازيل عام ١٩٤٠م ، عضو العصبة الأندلسية ، انصرف إلى انتاجه الشعري منذ وصوله المهاجر، فأصدر عدد من الدواوين العربية والفرنسية والانجليزية ، صدر له بالعربية " غمائم الخريف " و" خيالات "، عاد الى لبنان عام ١٩٤٧م ، وتوفى عام ٢٠٠٢م، . (انظر : جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، ص ٣٦٢ ، واحمد قبش : تاريخ الشعر العربي الحديث ، ص ٣٥٠) .

(٣) رياض معلوف : غمائم الخريف ، ط١ ، مطبعة مارأفرام ، بيروت ، لبنان ١٩٧٤م ، ص١٠٩.

(ميشال مغربي) [١] الذي يفخر باللغة العربية التي ما كانت لتخلد لولا القرآن الكريم المنزل على النبي محمد ﷺ ويشيد بالقرآن الكريم في أداء قصصي مطبوع مازجاً بين هذه الإشادة ومدح الرسول الكريم فيصور لنا جبريل –عليه السلام– وهو يتردد ليبلّغ النبي ببعثته ويستعير لفظة " اقرأ " القرآنية ، فيضمنها بيته الذي يتحدث عن النبي الأمي الذي يقرأ صحائف مالا يدركه عقل ، ولا تشهده عين ، ومن خلال تصوير بارع وطريف يروي لنا أن الوحي حين ينزل فإن الشعر يختبئ أو يؤمر بالاختباء فقد تكلم النبي بشيء لم يعهده الشعر قبلاً ، إنه الآيات المنزلة والقرآن الخالد :

الضادُ لولاكَ ما كانت مخلّدةً ولا رواها جمالٌ أنت موردهُ
ما النثر ما الشعر ما الدنيا وحكمتها إزاء ما فمُ أميٍّ يُنضدهُ
وكان ثمَّ لجبريل تردُّده حتى يبلِّغه ما قال مُوفدهُ
اقرأ .. فيقرأ أميٌّ صحائفَ من لا عقل يدركه أو عين تشهدهُ
وينزل الوحيُ يا شعرُ اختبئ فلقد فاه النبي بشيء لستَ تعهدهُ
فاهَ النبيُ بآياتٍ منزّلةٍ وخلَّد الضادَ قرآن يخلدُه[٢]

إن كثيراً من شعراء النصارى الذين وقفوا عند لغة القرآن الكريم قد استقوا منها ، بل عبّوا منها عبًّا ، ونهلوا من معينها العذب ، إذ لا تنضب لغة القرآن الذي هو دستور الدنيا بأسرها ، فإنها لغة اتسعت إمكاناتها لتستوعب حضارة راقية تعبر عنها هي الحضارة العربية الإسلامية ، ولا غرابة أن نجد من بين هؤلاء الشعراء " من كانت لغة القرآن تغسل

(١) ولد في الإسكندرية (مصر) عام ١٩٠١م ، من أبوين سوريين ،وفيها تلقى تعليمه الابتدائي ، هاجر إلى تشيلي عام ١٩٢٣م ثم غادر إلى البرازيل ، عمل في التجارة ، صدر له ديوان "العواصف" ١٩٢٢م .وأمواج وصخور ١٩٧٧م توفي في البرازيل عام ١٩٧٧م. (انظر : ميشال مغربي : أمواج وصخور ، ط١ ، مطبعة صفدي التجارية ، سان باولو ، أمريكا الجنوبية ١٩٧٧م ، ص ٢١–٢٥ ، و جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، ص ٤٠٤، وأحمد قبش : تاريخ الشعر العربي الحديث ، ص ٣٢٩) .

(٢) ميشال مغربي : أمواج وصخور ، ص٣٣٥ .

خياله وصوره ، حتى إن لسان حالهم يقول : لا شعر إن لم يطرق حدائق القرآن وينهل من أمواهه ، وحفلت قصائدهم بالمفردات التي جاء بها القرآن أولاً ونشرها في العالم بلسان عربي مبين مثل الزكاة والحج والبعث والنشور والسبع الطباق والبيت الحرام والكعبة والهدى والنبوة والمشكاة والحوض وذو الجلال والفردوس وجهنم والسعير والخلود ... " [١]

ويرى الشاعر (توفيق بربر)[٢]أن الرسول ﷺ أنشأ للعرب حضارة معصومة من الزوال وأن القرآن الذي نزل عليه انبثقت منه الأخلاق كما انبثق منها الحب ،وأن هذا الكتاب وحي من الله يحمل المعجزة تلو المعجزة ، وأن آذان البشر تلقفته كما يتلقف الجائع شهي الزاد ، واصفاً إياه بالوحي والعصمة ، وأنه أشرف الكتب وأجلها ، كاشفاً – من خلال ذلك – أن العرب قد سمت مكانتهم لنزوله بلغتهم وفي أرضهم ، يقول في ذلك :

قرآنُك الحقُ من آياته انبثقتْ ... رسالةُ الحبِّ والأخلاقِ والأدبِ
وحيٌ من الله ما أحلى تلاوتَه ... كأن آياتِه ضربٌ من الضربِ
وحيٌ تلقته الآذان صاغية ... كما تلقَّى شهيٌّ الزاد ذو سَغبِ
العرْبُ خير الورى لا بدعَ إن ورثوا ... عن أشرف الخلق طرًا أشرف الكتبِ[٣]

(١) د. خالد محيي الدين البرادعي : المهاجر والمهاجرون ، ٢ / ١٠٢٤ .

(٢) ولد في قرية الحاكور (لبنان) عام ١٩٢١م ، وفيها تلقى تعليمه الابتدائي ، هاجر إلى البرازيل عام ١٩٣٧م عمل في التجارة وزادت ثقافته العربية واطلاعه على الموروث الفكري والأدبي في بلاد الهجر ، صدر له "ديوان الشلال" و"ديوان الرافدين" ، توفي في البرازيل عام ١٩٩٨م.(انظر : د.أحمد مطلوب : صور عربية من المهجر الجنوبي ، ط٢ ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ١٩٨١م ، ص ١٢– ١٦)

(٣) توفيق بربر : ديوان الشلال ، ط٢ ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، ١٩٨١م ص١٢٧ –١٢٨ .

أما الشاعر (فيليب لطف الله) [١] فيقول للرسول ﷺ إنك جئت للعالم نوراً وهدى ، وهما الصفتان اللتان وصف القرآن رسول الله بهما ، ويقول عن القرآن : إنه فجر جديد يطل على الدنيا ، وعلى تفجّرِ نوره تحركت الشعوب إلى الأمام ، ووحد المسلمين :

رسول الله جئت رسولَ هدْيٍ ونوراً للأعارب والأنامَ
وما القرآنُ إلا فجرُ علمٍ به مشت الشعوبُ إلى الأمامِ[٢]

ويبرز الاعتزاز بالنبي ﷺ وبالقرآن الكريم في قصيدة (لنصر سمعان) بعنوان " لن يطوى لنا علم" حتى يُستَشفُ منها أنه قريب من الرؤية الإسلامية ، إذ يرى أن مصدر العزة للفرد والأمة الاستقاء من معين الوحي ، الذي نزل على النبي الكريم المالئ الدنيا بعظيم هديه ، والرافع البشرية بسيرته يقول :

أوفى النبيُ على الدنيا كواكبَهُ مواكبُ النور والإكبار والعظمُ
المالئ الكون طيباً من نوافحه والواهب العرب روحاً كلها شممُ
فمُ الرسول فمُ الحقِّ الذي انفجرت منهُ البلاغة والآياتُ والحكمُ[٣]

وينعطف الشاعر (نصر سمعان) في قصيدته " وانحنى الصبح" ليتحدث عن القرآن الكريم وما فيه من إعجاز ، وبيان ، وحكم ، ومثل ، وقيم ، وتعاليم لسعادة البشرية ، ويرى الشاعر في تلك الآيات العبر وصدق النبوة المحمدية ، وما أضفاه على البشرية من تغير في مسارها ، وتحول في حياتها ، لما فيه من هداية لها ، ونعمة أسداها الله لعباده ونور

(١) ولد في بسكنتا (لبنان) عام ١٨٩٧م درس في مدارسها الابتدائية ، هاجر إلى البرازيل عام ١٩٢٠م عمل في التجارة والصناعة حتى اصبح ذا ثروة مالية أصدر مجلة "العصلة الأندلسية" اشترك في عدد من الجمعيات والهيئات الثقافية والرياضية فكان رئيساً للجمعية الثقافية العربية ورئيساً لجامعة القلم ، صدرت له دواوين "نسمات الجبل " و"حصاد الأيام" و"أناشيد الغروب" توفي في البرازيل عام ١٩٨١م .(انظر : د. عيسى الناعوري : أدب المهجر ، ط٣، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ١٩٧٧م ، ص ٥٢٢– ٥٣٣) .

(٢) فيليب لطف الله: حصاد الأيام، ط١، مطبعة بلادي للطباعة والنشر ، عام ١٩٧٥م ، ص ٣٧ .

(٣) نصر سمعان : ديوانه ، ص٨٦–٨٧ .

قد أضاء طريق الحق يقول :

وأنارَ الحيــاةَ نــورُ كتــابٍ هو من روحِ مُبدعِ الكــون بدعــةْ
جــامعٌ بــين دفتيــه ســماءً تنشر النور دفعــةً إثــر دفعــةْ[1]

ثم لا يتوقف حتى يجعل النبي ﷺ فخراً للعرب جميعاً سواء أكانوا مسلمين أم نصارى ، وأنهم ينضوون تحت رايته ، وهو بهذا يريد أن يدلف إلــى الوحدة العربية المستظلة بالإسلام ، يقول :

بالآيــات أحمــد كيــف زادتْ منعةُ المجد والعروبــة منعــةْ
فعــلاء للمســلمين ومجــدٌ للنصارى لا يمكن الدهر نزعهْ
يا نبي الهدى وناظم شمل العرب عقــداً يــزين فكــرك لمعَــهْ
فرقَــتْ شــعبَك العقائــدُ لكــن لم تغير في حبه المجد طبعــهْ
باســلٌ ســيفهُ الإبــاءُ وحــرٌ صاغ من جواهرِ البطولةِ درعهْ
خلعَ الوهمَ وانتضى صارم الحقِّ فويــلٌ لمــن درعــهْ[2]

وقد كانت الإشادة ببيان النبي ﷺ ترتبط بالمعجزة القرآنية الخالدة ، وهو ما يؤكده معظم الشعراء النصارى في قصائدهم ، كما نــرى عنــد الشاعر (عبد الله يوركي حلاق) الذي تيمته لغة القــرآن الكــريم ، التــي صانها أفضل كتاب على الإطلاق ، يقول :

أنــا صَــبٌّ تيمتنــي لغــةٌ صــانها القــرآنُ أســنى الكُتُــبِ
وجهة المحراب عندي هيكــلٌ فيه عيســى والنبــيُّ العربــي[3]

ويمازج الشاعر بين مدح هذه اللغة القرآنية الجليلة ، وبين ما تحمله من قيم سامية ، ليجعل من ذلك سبباً منطقياً لمدح الرسول ﷺ حامل هــذه القيم إلى البشرية ، فيقول :

ولي لغةٌ أعلى الكتابُ مقامهَا فسارت مسيرَ النورِ شرقاً ومغربَا

(١) نصر سمعان :ديوانه : ص٧٠ .
(٢) السابق : ص ٧٠ .
(٣) عبد الله يوركي حلاق : حصاد الذكريات ، ص١٩١ .

بها نزلَ القرآنُ هديا ورحمةً فــردَّ غلــيظ الأصــغرين مهــذَّبَا
وإنَّ كلامَ الله آيــاتُ حكمــةٍ فمرحــى لأمــيٍّ دعــاه ليكتبَــا[١]

ويشيد الشاعر (جورج كعدي) [٢] بالقرآن المنزل علــى محمــد ﷺ بوصفه هداية للبشرية ، ومخرجاً من الضلال إلى النور ،ومن الجهل إلى العلم ،ومن التخلف إلى العزة والمنعة وقيادة الأمم ،وفي هذا يقول :

لنا كتاب ومن آياتــه انبثقــت أنوارُ ربك مثل الشمس تمليهــا
يحاول الغرب أن يطفئ أشعتها ضلَّ العلوج سنطفيه ونطفيها[٣]

حيث نسب الشاعر نفسه إلــى الإســلام وأمتــه ، عنــدما قــال : " لنا كتاب " وهو الذي يدين بالنصرانية ، ولكن أثر القرآن الكريم قد بــدا واضحاً لديه ، فهو " معجب بالقرآن الكريم مقدس له "[٤]

ويكشف الشاعر نفسه في قصيدته " فلسطين ستبقى عربية " شيئاً من فضائل القرآن الكريم المنزل على النبي محمد ﷺ وأثره على البشرية بعد ما كانت تعج في الجهل والضلال ، فيقول :

نحن قومٌ علَّموا الناس الهدى وســننَّا سُــنَّةَ العــدلِ ســويةْ
فنبــيٍّ وكتــابٌ منــزَّل بينمــا الكــونُ بليــلِ الهمجيَّــة[٥]

وبذلك يمكن القول ، إن الشعراء النصارى ،قد عبّروا عن إعجابهم ببلاغة القرآن وفصاحته التي تعلو فوق كل فصــاحة ،وباللغــة العربيــة

(١) عبد الله يوركي حلاق : حصاد الذكريات: ص١٩٨.
(٢) ولد في بسكنتا (لبنان) عام ١٩١١م ، وبها تلقى تعليمه الأولي ، هاجر إلى البرازيل عام ١٩٢٥م ، وتعلم هناك العربية والفرنسية والبرتغالية ، وبدأ ينظم الشعر العربي ، ثم غادر البرازيل إلى بوليفيا وأقام في عاصمتها (لاباص) ، صدرت له ثلاثة دواوين : " الكعديات " – الديوان الجديد – ثريا " توفي عام ١٩٧٦م . .(انظر : د. أحمد مطلوب : صور عربية من المهجر الجنوبي ، ص ١٦٩– ١٧٣) .
(٣) جورج كعدي: الكعديات ، ط١ ، مطبعة فاندوم سليم عبده وشركاه ، بيروت ، لبنان ١٩٦٩م ، ص٢٥١ .
(٤) د . أحمد مطلوب : صور عربية من المهجر الجنوبي ، ص٢٣٧.
(٥) جورج كعدي : الكعديات : ص٢٦٣ .

بوصفها رمزاً شاملاً لفصاحة النبي ﷺ وبيانه وخلود القرآن الكريم ، وتأخذ الإشادة بالقرآن الكريم عند أولئك الشعراء بعداً لغوياً عن طريق الإفادة من لغته تناصاً مع آياته وسوره ،ولم يكن الشعراء النصارى متفردين بهذه السمة ، بل كانت ظاهرة لدى شعراء العصر الحديث بصورة عامة (١).

وهكذا نرى أن الدافع الثقافي كان محركاً للشعراء النصارى إلى الاحتفاء المخلص بالرسول ﷺ فأشادوا بأخلاقه ﷺ والقيم النبيلة التي أتى بها وتحدثوا عن المعجزة القرآنية الخالدة ، وربطوا ذلك ببيان النبي ﷺ وفصاحته ، ويأتي ذلك كون هؤلاء الشعراء عرباً يفخرون بعروبتهم وقد تعصبوا لها فهي " التي تجمع بين المسلم والمسيحي وغيرهما في ظل عروبة موحدة ، وقومية جامعة، ورأوا أن [هذا هو السبيل](٢) لتوحيد الصفوف العربية التي يحاول المستعمر تفريقها بإثارة العصبيات حتى يثبت سلطانه "(٣)

(١) د. عبد الحميد جيدة ، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، ط١ ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ، طرابلس ، لبنان ١٩٨٦م ، ص٧٢، بتصرف .

(٢) السبيل مؤنثة ، والصواب (أن هذه هي السبيل) ، قال تعالى (قل هذه سبيلي) سورة يوسف (١٠٨) .

(٣) د . حسن جاد حسن : الأدب العربي في المهجر ، دار قطري بن الفجاءة ، قطر ١٩٨٥م ، ص٣٥٨ .

المبحث الثاني
الباعث الاجتماعي

كانت –ولا تزال – الدعوة إلى التسامح بين المسلمين والنصارى ملمحاً أساسياً من ملامح الدعوة الإسلامية ، ميّزت شخصية محمد ﷺ حين طبق ذلك عملياً في حياته ، فقد تعامل مع النصارى بروح الود وتزوج السيدة مارية القبطية ، وحذّر من الإساءة إلى الذميين ، ومن ثم فقد عاش المسلمون مع النصارى دون تمييز أو تفرقة وعلى هذا لم يستشعر الشعراء النصارى غضاضة في الإشادة بمحمد ، والإعلان عن حبهم له والإلحاح على جانب المودة والتسامح بني المسلمين والنصارى .

ومعلوم أن تاريخ الإسلام الطويل وحضارته الكبيرة بواقع الأديان واللغات والقوميات يشهد بمعاملة المسلمين لأهل الملل الأخرى معاملة كريمة بلا خداع ولا ظلم ولا تعسف ، وقد عاش في المجتمع المسلم : اليهودي والنصراني والمجوسي وغيرهم في داخل الدولة الإسلامية بلا تفرقة .

وفي هذا المبحث عن الباعث الاجتماعي نتحدث عن جانبين ، جانب يتمثل في علاقة شخصية بين الشعراء النصارى والرسول ﷺ عبرت عنها قصائدهم في صورة حب لهذا النبي العظيم ، وجانب يظهر من خلال احتفاء الشعراء النصارى بدعوة الإسلام إلى التسامح وبناء المجتمع من طوائف متعددة وبث روح المودة والإخاء بينها ، ونبذ عوامل الخلاف والشقاق والهدم ،وهذه الدعوة من صلب الدعوة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ وصارت ملمحاً من ملامح شخصيته الداعية إلى الإحسان إلى أهل الكتاب ، كما أقر القرآن الكريم وبينت ذلك الأحاديث الشريفة .[١]

(١) انظر مثلاً : سورة المائدة الآيتان ٨٣ ، ٨٢ ، وسورة الممتحنة : الآية ٨ وهي تبين طبيعة علاقة المسلمين والنصارى وهي علاقة تقوم على البر والهدى والمودة .

أولاً : الإعجاب بالرسول صلى الله عليه وسلم :

تبرز في هذا الإعجاب عاطفة موضوعية تقوم على أساس من المعالم الموجودة في شخصية الرسول ﷺ تدفع الشاعر إلى إزجاء عواطفه تجاهه ومن هنا نلحظ أن مقولات الشعراء العرب النصارى في الإعجاب بالرسول ﷺ والإشادة به قائمة على مقدمات منطقية ، بخلاف الشاعر المسلم الذي يعلن عن حبه مباشرة لأنه لا يجد ما يقلقه أو من يشكك في حبه وولائه الكامل للرسول ﷺ ورسالته ولذلك نشعر أن مدح الشاعر النصراني للرسول ﷺ والإشادة به نوع من الدفاع عن النبي ﷺ ودينه وبالطبع فإن درجة الدفاع تتفاوت من شاعر إلى آخر بمقدار اتصاله بشخصية الرسول ﷺ فالشاعر (جورج سلستي) يخاطب الرسول ﷺ بأنه قد أقبل وعلى جبينه فجر الحق وبيديه زمام الأمور ومعه الهدى الذي يهدي الحيارى في ظلمات الكفر ، ويبث الرحمة والخير في قلب الصحراء المجدبة ، والسبب في ذلك كله هو إصراره على الحق وسمو الخلق ، يقول في مطلع قصيدته " نجوى الرسول الأعظم " :

أقبلتَ كالفجرِ وضَّاح الأساريرِ ... يفيضُ وجهُكَ بالنعماءِ والنورِ
على جبينكَ فجر الحق منبلجٌ ... وفي يديك مقاليد الأمورِ[1]
فرُحْتَ والليل ليل الكفر معتكرٌ ... تفري بهديك أسدافَ الدياجيرِ
وتمطر البِيدَ آلاء وتُمرعها ... يُمناً يدوم إلى دهر الدهاريرِ
ما أنتِ بالمصطفى يا بيدُ مجدبةً ... كلا ولا أنت يا صحراءُ بالبُورِ
أبيت إلا سموّ الحق حين أبى ... سواك إلا سموَّ البُطلِ والزُّورِ[2]

وهنا تتكشف العلاقة التي كونها الشاعر حيال الرسول ﷺ التي تبدو من خلال عاطفة فياضة لشخصية تستحق الإكبار تتميز بتأثيرها في الآخرين قادرة على استقطاب الاهتمام وتكوين علاقة متبادلة .

(١) ورد البيت مكسوراً في الأصل (الديوان) .
(٢) مجلة الرسالة ص١٨ .

وهذا الشاعر (خليل مطران) [١] ، يوجه قصيدته " عظة العيد الهجري " إلى " محمد " نوعاً من المحبة الخالصة والإكبار ، وإن لامه على ذلك اللائمون وعادوه فيقول :

هويتُك إكباراً لما أنت رمزُه من المأربِ العُلوي لو كان يُفهم
فإن نال مني كاشِحُون ولُوَّمٌ ففي كل حُبٍ كاشِحُون ولُوّم[٢]

وقد كان الشاعر (وديع البستاني)[٣]عربي اللغة والقلب والهوى وقد انعكس هذا الحس العروبي في الشعر الذي تركه مرآة لوجدانه وطموحاته وتطلعه إلى طريق أمة عربية واحدة ، فكانت عروبته دافعاً لحب الرسول ﷺ رمز الوحدة والجماعة فيقول :

أجل عيسويٌ واسألوا الأمسَ والغدا ولكن عروبيٌ أحبُ محمداً
لئن عدّد الأديانَ ناسٌ وفرقوا فما كنتُ في الأوطان إلا موحداً[٤]

وأحسب أن مدح الرسول ﷺ في شعر النصارى جاء دفاعاً عن الرسول ﷺ وشريعته ، بدافع حبه ﷺ وبدافع توجيهه بالدرجة الأولى إلى أولئك الذين يطعنون فيه وفي الدين الذي أرسله الله به رحمة للناس كافة

---

(١) ولد في بعلبك (لبنان) عام ١٨٧٢م ، تلقى تعليمه في مدارس زحلة وبيروت ، هاجر إلى باريس ثم إلى مصر واستقر فيها وعرف بشاعر القطرين ، عمل بمصر في الصحافة وفي التجارة ، وصدر له ديوان " الخليل " في اربعة أجزاء ، توفي عام ١٩٤٩م .(انظر : خير الدين الزركلي : الأعلام ، ٣٨٦/٢) .

(٢) خليل مطران : ديوانه ،ط١، دار مارون عبود، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م ، ٣/ ٢٥. و كاشحون: معادون (أعداء) ، لسان العرب ٢ / ٥٧١ ، مادة (كشح) .

(٣) ولد في الدبية (لبنان) عام ١٨٨٦م ، تلقى تعليمه الأولي على أيدي آل البستاني ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج عام ١٩٠٧م بلغت كتبه المترجمة أربعة عشر كتاباً ، توفي عام ١٩٥٤م (انظر: لويس شيخو : تاريخ الآداب العربية (١٨٠٠– ١٩٢٥م) ،ط٣، منشورات دار المشرق، بيروت ، لبنان ١٩٩١م ، ص٤٧٤ ، و، خير الدين الزركلي : الأعلام ، ٨ /١١٣) .

(٤) وديع البستاني : ديوان الفلسطينيات ، ط١ ، مكتبة الطاهر إخوان ، نابلس ، فلسطين ١٩٤٦م ، ص٩٩.

وهذا الشاعر (جاك صبري شماس) [١] يشيد بحبه للرسول ﷺ وكذلك قد يكون رداً على الإساءة للرسول ﷺ من قبل الغرب في قصيدته المسماة " بمحمد يسمو الهدى ويدوم " :

لن تفلحنَّ حبائل ورسومُ ... مهما تبدت في الرسومِ سمومُ
مهما تجنّى الغربُ في إيذائه ... بـ" محمد" يسمو الهدى ويدومُ
من ذا الذي يسلو منار محمدٍ ... مسكُ الختام مخلدٌ معصومُ
وشَّى الحياةَ شمائلاً ومآثراً ... والقلب دفءٌ بالحنانِ رؤومُ[٢]

يبدأ الشاعر قصيدته بأسلوب النفي (لن) وهو يفيد نفي حدوث الفعل في المستقبل ، وبذلك فالشاعر يرى أن هذه الرسوم المسيئة للرسول ﷺ لن تحقق شيئاً سوى الإساءة لصاحبها ، فحِبرُ هؤلاء المسيئين ، والسموم التي حاولوا بثها لا تضر بسيّد الهدى الذي أرسله الله – جل وعلا – ليكون منارة تضيء الحقّ والصواب بما حمله من أخلاق وشمائل تعدّ الأنموذج الأسمى للبشرية ، وهذه الشمائل هي التي تجعل الشاعر يبتدئ قوله بالنفي المستقبلي ، فدائماً الحقُ منتصر ، مهما حاول العابثون الإساءة إليه . ومن هنا نجد أن حب الشاعر للرسول ﷺ ولدعوته، يعني الدفاع عنه وبيان صفاته وشمائله ،وأهميته بالنسبة للعالم ،ودوره في إنقاذ الدنيا من الظلم والظلام.

(١) ولد في الحسكة (سوريا) عام ١٩٤٧م عمل في تدريس اللغة العربية ، عضو اتحاد الكتاب العرب ، حائز على الجائزة الأولى في مدح الرسول ﷺ في سوريا عام ٢٠٠٦م ، أصدر عددا من الدواوين منها " جراح الخابور " و " شيخ المجاهدين " و " غزة في شغاف القلب " (انظر: جاك صبري شماس : جواز سفر عربي ، ط١ ، الشعار للطباعة ، حمص ، سوريا ٢٠٠٨م ، ومعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، ٦٤٠/١) .

(٢) جاك صبري شماس : شمس العروبة والإسلام ، ط١ ، مطبعة دار عكرمة ، دمشق ، سوريا ٢٠٠٦م ص١٩.

ثانياً : الدعوة إلى التسامح بين المسلمين والنصارى :

تشهد بعض البلدان العربية تعايشاً سلمياً بين المسلمين والنصارى وغيرهم، وقد أدى هذا التعايش إلى اطلاع كثير من النصارى على الدين الإسلامي بحكم التواصل اليومي بين الجانبين ما جعل النصارى يلحظون النزعة التسامحية العظيمة التي تميز الدين الإسلامي ، وهذا كان مدعاة إلى الإشادة بالرسول ﷺ الذي أُرسلَ بهذه الرسالة السمحة وبذلك كان القرآن – وما يزال – عند العارفين هو أعظم الداعين إلى السلام والتسامح بين الأديان وبين الشعوب .

والحقّ إن إدراك شعراء النصارى لهذه الطبيعة التسامحية التي جاء بها الإسلام ورسوله ﷺكان دافعاً حقيقياً وراء مدح الشعراء النصارى للرسول الكريم ﷺ فقد أدرك كثير منهم القيم الأخلاقية الكبرى التي جاء بها الإسلام ودعوته إلى التسامح مع الديانات الأخرى ولا سيما النصرانية التي برزت في قوله تعالى : (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ)(١) .

فالعداوة بغض نفسي تجعل صاحبها بعيداً ممن يعاديه فلا يصله بخير ، ولا يقربه بمودة وهذا ما نعت الله –جل وعلا– به اليهود والمشركين ، أما النصارى فقد نعتهم –جل وعلا –بأنهم أقرب مودة ، والمودة هي حب نفسي يجعل صاحبه يتقرب إلى من يوده بالخير ودفع الشر، وقد أدرك شعراء النصارى ذلك وكان سبباً في مدحهم الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – ومشاركتهم في تكريم ذكرى مولده ، وغير ذلك من المناسبات الدينية الإسلامية ، فهذا الشاعر (وديع البستاني) يدرك هذا المعنى الذي ورد في الآية القرآنية من أن النصارى أشد مودة وقرباً للمسلمين ويجعله مناسبة لتوجيه تحية المحبة للرسول ﷺ مؤكداً مبدأ المودة

(١) سورة المائدة ، ٨٢ .

بين المسلمين والنصارى متأثراً بالقرآن الكريم ومضمناً بعض آياته ، ومتخذاً من هذا المبدأ دافعاً قوياً لمدح الرسول ﷺ فيقول :

نحنُ النصارى الأقربونَ مودةً لكُمُ وقد صَعدَ النبيُّ مُحمدُ
وعلَى النَّبيِّ الهاشمي سلامُنا وُلِدَ النبيُ وكل عامٍ يولدُ
أخلى قلوب المسلمين لُحبِّنا وصفاً وطاب لواردِيهِ المورِدُ[1]

فمبدأ المودة الذي جاء به الرسول ﷺ ومبدأ تغذية القلوب بالمحبة والتسامح وراء مدح الشاعر البستاني للرسول ﷺ لما فيهما من دعوة للتعايش بين الأديان . وهما قيمتان عظيمتان في بناء المجتمع ، وتقوية الأواصر بين مكوناته الاجتماعية ،ومن هنا أدرك كثير من الشعراء النصارى أن الرسول ﷺ مفخرة للأمة التي نشأوا فيها ، والتي يجمعهم لواؤها تحت ظلاله ، فكانت هذه العواطف الجياشة دافعاً قوياً لهؤلاء لمدح الرسول ﷺ والإشادة بفضائله ،وبالرسالة التي جاء بها ، فهذا (جاك صبري شماس) يعبر عن ذلك بقوله :

أنا يا (محمدُ) من قبيلةِ تغلبٍ أهواكَ دينَ محبةٍ وتفاني
وارتلُ الأشعارَ في شممِ الندى دينٌ تجلّى في شذى القرآنِ
وتسامحٌ يزهو ببر فضيلةٍ وشمائلٌ تشدو بسيبِ أغاني
أغدقتَ للعربِ النصارى عزةً ومكانةً ترقى بشمِّ معاني[2]

فالشاعر (جاك صبري شماس) ينطلق من مبدأين أساسيين في مدح الرسول ﷺ هما العروبة والتسامح اللذان جاء بهما الإسلام ،وهما كانا السبب الكامن وراء المحبة التي يزجيها الشاعر خالصة للرسول الكريم، فهو الذي عزز التسامح المقرون بالفضائل والشمائل التي يتغنّى بها الشاعر ، ومن ثم لا غرابة أن يقرّ الشاعر بأن النصارى العرب قد

(١) وديع البستاني : ديوان الفلسطينيات ، ص١٠٤ .
(٢) جاك صبري شماس : سيدتي الكلمة ، ط١ ، اتحاد كتاب العرب ، الحسكة ، سوريا ٢٠٠٨م ، ص:١٧ .

اكتسبوا العزة من هذا الرسول العظيم .

وقد جعل الشاعر (عبد الله يوركي حلاق) من مولد الرسول ﷺ مناسبة جامعة للمسلمين والنصارى ،فيقول في قصيدة " قبس من الصحراء " :

ذكراكَ تجمعُنا وتجمعُ حولنَا إخوانَ صدقٍ عانقوا الإخوانا
إنَّا حلفنا أن نصُون إخاءنَا بسياجِ عزٍّ لن يمسّ هوانا
ما نحنُ إلا أُخوةٌ نسعى إلى إسعادِ أمتنا وصونِ حمانا[١]

ويبين (حلاّق) أن هذا التسامح والإخاء مسوغ عادل متمثل في الشريعة الإسلامية التي جاء الرسول ﷺ لينشرها ويعززها بين الناس ،فكان ذاك بحق مسوغاً لأن يجعل الشاعر الرسول ﷺ قبساً يجلي ظلمة الصحراء فيقول في قصيدته " عرس الصحراء " :

قبسٌ من الصحراء شعشعَ نورُهُ فجلا ظلامَ الجهل عن دنيانا
بعثَ الشريعةَ من غياهبِ رمسِها فرعى الحقوقَ وفتَّحَ الأذهانا[٢]

ومن هنا لا غرابة أن نرى الشاعر (عبد الله يوركي حلاق) يؤكد هذا المبدأ في قصيدة أخرى عندما يقول في قصيدته "عرس الشعر" :

آمنتُ بالحبِّ لم أؤمن بتفرقة وفي فؤادي إنجيلٌ وفُرقَانُ
وسَرتُ في موكبِ الإيثارِ فانكسرت على صخورِ الأنا والكفرِ أوثَانُ
محمدٌ وكتابُ اللهِ في يدِهِ دستورُ دينٍ بهِ الإنسانُ إنسانُ[٣]

فالشاعر يجعل من الحب وسيلة لنبذ التفرقة بين المسلمين والنصارى، ثم يؤكد الجانب الإنساني في الرسالة الإسلامية التي أُرسل النبي – عليه الصلاة والسلام – لنشرها بين الناس ؛ فهي دستور للبشرية يعزز من قيمة الإنسان ، ويحترم إنسانيته ، ومن هنا جاء بالصورة التشخيصية (محمد وكتاب الله في يده) فالرسالة والرسول بُعثا لأجل هذا

(١) عبد الله يوركي حلاق : حصاد الذكريات ، ص :١٩ .
(٢) السابق ، ص : ١٨٨ .
(٣) عبد الله يوركي حلاق : عصير الحرمان ، ط١ ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ١٩٩٠م ، ص: ١٩٠ .

الهدف السامي النبيل الذي يلغي الفروق بين البشر الذين ولدتهم أمهاتهم ليتمتعوا بإنسانيتهم ، وليحترموا إنسانية غيرهم بتسامحٍ عزّ نظيره في شريعة أخرى ،إن هذه المنطلقات الاجتماعية كانت باعثاً لشعراء النصارى للتعبير عن شخصية الرسول ﷺ والإشادة به ، والإبانة عن مشاعرهم تجاهه حتى نضحت بها اشعارهم متغنين بسيرته ، لينسجوا منها ما يشاؤون من نماذج ، وقيم خالدة ، ومبادئ إنسانية حية تعد معيناً لا ينضب ومورداً اجتماعياً وإنسانياً لا يضعف مهما تداولت عليه الليالي وصروف الزمان .

المبحث الثالث

الباعث السياسي

كوّن التاريخ الإسلامي ببطولاته وفتوحاته وأمجاده وقادته الذين سطروا تاريخ أمتهم ، ورفعوا شأنها سِفْراً للأدباء والشعراء في العصر الحديث ولمن خلفهم معيناً لا ينضب وموروداً ثقافياً وإنسانياً لا يضعف على مر العصور .

وتعد شخصيات الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– من أبرز الشخصيات استدعاءً ، ليس في شعر النصارى فحسب ، بل في الشعر العربي عامة .

وشخصية النبي ﷺ من أعظم الشخصيات التي نالت من التقدير والاحترام والتبجيل ما لم تنله شخصية أخرى ،حتى من غير المسلمين من الشعراء ،ذلك أنهم رأوا فيه "الرمز الذي ينبغي أن تتحرك كل القضايا باتجاهه"(١) وهو الأنموذج المحتذى في الحياة كلها ، لذا خصوه بقصائد كثيرة .

"وتأخذ شخصية النبي ﷺ لدى هؤلاء الشعراء ملمحاً بطولياً في إقالة الأمة العربية والإسلامية من عثرتها ، وتصحيح مسارها بين الأمم ، وبخاصة في ظل الاستعمار الذي هيمن على جل بلاد العرب ، وقد تردد هذا الملمح لدى كثير من الشعراء النصارى ، وهذا راجع إلى الظروف الزمانية التي يعيشها العالم العربي سياسياً ، فالأزمات السياسية الطاحنة التي كان يمر بها الوطن في العصر الحديث كانت باعثاً قوياً من بواعث إشادة هؤلاء الشعراء بالرسول ﷺ وكانوا يرون أن الشعر رسالة يحملها الشاعر لإرشاد مجتمعه وتوجيهه حتى لم يعد لدى كثير منهم أن الأدب مجرد تسلية أو هروب من الحياة ومشاكلها وقضاياها ومعاركها ،وأن الشاعر عندما يعرض قضاياه على التاريخ يستقي منه ما يوائم قضيته

(١) د. حلمي القاعود : محمد ﷺ في الشعر الحديث ، ص٣٨٧ .

المعاصرة" [١] . ولكن ليس المطلوب هنا من الشعراء النصارى أن يستعرضوا قضايا الوطن كلها لسبب بسيط هو أن الهدف كان مدح الرسول ﷺ في مناسبات مختلفة وكان الباعث السياسي حاضراً بقوة ، وكان مناسبة لذكر النبي ﷺ والإشادة بفضائله لأسباب عدة منها :

– واقع الأمة وما تعانيه من تفرق وتشرذم .

– الشكوى من هذا الواقع والتحريض على التخلص منه.

–بث روح العزيمة باستحضار الشخصية المثلى للعرب والمسلمين المتمثلة في الرسول ﷺ وباستحضار عصره أزهى عصور العرب والإنسانية عدلاً ووحدة وإيماناً .

– محاولة استعادة ذاك المجد التليد عبر الموازنة بين هذا العصر وعصر الرسول ﷺ وهو ما عبر عنه (جاك صبري شماس) بقوله :

كحَلتُ شِعري بالعروبةِ والهدى ولأجل (طهَ) تفخرُ الأقلامُ
كانت بلادُ العربِ نورَ حضارةٍ وبها (الوليدُ) (أسامةُ) (وهشامُ)
شتَّانَ ما بينَ التليدِ ومجدِهِ وبحاضرٍ تبكي بهِ الأعوامُ[٢]

وبالتالي عرَّج الشعراء النصارى على عدد من قضايا الأمة الإسلامية في ثنايا حديثهم عن الرسول ﷺ ولم يعرض هذا الشعر الذي تناول الرسول الكريم كل قضايا الأمة ، لأنهم كانوا قد نظموا قصائد خاصة بهذه الموضوعات في دواوينهم ، ومن هنا نتوقف عند القضايا السياسية التي كانت محرضاً على مدح الرسول ﷺ والإشادة به ، ففي إطار المدح القومي الذي ظهر في القرن الرابع عشر الهجري داخل العالم العربي ، وجد الشعراء النصارى العرب في الرسول ﷺ صورة البطل المنقذ الذي يعبر عن أمانيهم الخاصة والعامة ، ويواجهون به المحيط الذي يعيشون فيه لكونهم جزءاً لا ينفصل عنه ، ويعقدون عليه الآمال لتوحيد

(١) محمد مندور : النقد والنقاد المعاصرون ، ط٤ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ٢٠٠٨م ، ص٢٣٤.

(٢) جاك صبري شماس : شمس العروبة والإسلام ، ص١٩–٢٠.

العرب ، وردّ العار الذي لحق بهم جراء الهزائم المتلاحقة ، وقد اعتـــرف الشاعر (وصفي قرنفلي)[١] صراحة بأنه يتحدث عن الرسول محمـــد ﷺ الذي جاء بالهدى والرحمة منقذاً للشرق مـــن إســـار الفـــرس والرومـــان ويقول :" وأنا أرى في الدين الإسلامي قوة للشرق في جهاده القومي يجب استغلالها ، وإذا لم يكن للقرآن من يد إلا صيانة لغتنـــا – واللغـــة أجـــلّ مظاهر القومية – لكفاه ذلك فضيلة تُحمد ويداً تشكر[٢] ".

وكثيراً ما نجد في قصائد الشعراء وصفهم الرسول ﷺ بالعروبة أو إسنادها إليه ، فهناك مثلاً قصائد بعنوان " النبي العربي الكريم " و "محمد والعرب" و "الرسول العربي" و "يا نبي الأعراب" و "مولد النبي العربـــي" و "في مولد الرسول العربي" ... وهي مسألة تعبر تعبيراً مباشراً عن نظرة الشعراء النصارى للرسول ﷺ .

وكانت الشكوى من واقع حال الأمـــة دافعـــاً لاســـتدعاء شخصـــية الرسول ﷺ فقد حرص الشعراء النصارى على عرض هموم الأمة العربية وما أصابها من تشرذم وتخلف ،وضعف وهوان على النبـــي ﷺ وطلـــب معونته في علاج هذا المصاب "وكانوا يرون أن الرسول ﷺ مؤسس دولة قوية وزعيم أمة موحدة وفاتح بلاد منيعة هـــو أقـــرب شخصـــية يمكـــن استدعاؤها وبثها الشكوى لعله أن يخرج من بين ظهراني الأمة من يقتدي بها ويعيد أمجادها ويزرع العدل في أرجائها ويعمها بفيض الرخاء" [٣].

ولا شك أن الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري)[٤] كان من أشـــد

---

(١) ولد في مدينة حمص (سوريا) عام ١٩١١م ، قضى حياته في سورية ولبنان ، صدر له ديوان بعنوان : " وراء السراب " ، توفي عام ١٩٧٨م .(انظر : معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، ٥ / ١٧٧) .

(٢) وصفي قرنفلي : وراء السراب ، ط١، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، دمشق ، سوريا ١٩٦٩ ، ص٧٧ .

(٣) د . حلمي القاعود : محمد ﷺ في الشعر الحديث ، ص٣١١ .

(٤) ولد في قرية البربارة (لبنان) عام ١٨٨٧م ، عمل في التعليم ، هاجر إلى البرازيل ، صدر له عدد من الدواوين أبرزها : " الرشيديات " و" القرويات " و" الاعاصير " ، صدرت الأعمال =

المتحمسين لإيثار وحدة العرب وعزتهم وقوميتهم ، فعندما يتحدث عن شجاعة " سلطان باشا الأطرش" [١] ، وبطولته في مواجهة المحتلين الفرنسيين ، والعرب يتفرجون عليه ويكتفون بالتأييد لا يجد ما يقويه به غير أن يطلب منه أن يضرب بسيف "محمد" وأن يهجر فلسفة "المسيح" التي تدعو إلى إدارة الخد الأيسر لمن ضرب الخد الأيمن :

إذا حاولتَ رفعَ الضيم فاضرب بسيف محمدٍ واهجر يسوعا[٢]

ويبدو أن الشاعر (القروي) من أكثر الشعراء النصارى اهتماماً بقضايا قومه، لذا فهو يستنفر صفات الرسول ﷺ التي تجعل هذه الأمة عزيزة قوية ، ففي قصيدة قالها بمناسبة " المولد النبوي " يشيد بحبه للرسول ﷺ ويتحدث عن يوم مولده ﷺ ليتجه إليه بعد ذلك بالخطاب ، مازجاً الماضي بالحاضر من خلال مفارقة تصويرية بين الرسول ﷺ الفاتح لبلاد الآخرين وبلاده الآن التي صارت ميداناً لكل قوي فيقول :

يا صاحبَ السيفِ لم تُفلِل مضاربَهُ اليومَ يقطرُ ذلاً سيفكَ الدموي
يا فاتحَ الأرضِ ميداناً لقوتهِ صارت بلادُكَ ميداناً لكل قوِي[٣]

وهذا الشاعر (سعيد جريس العيسى)[٤] تؤلمه حال العرب ، فيعود إلى الرسول ﷺ شاكياً ،ومبجلاً فهو رمز الوحدة والجماعة ،ومنه تطلب ،فهو

=

الكاملة له بعد وفاته ، توفي عام ١٩٥٧م . (انظر : رشيد سليم الخوري : الشاعر القروي الأعمال الكاملة (الشعر) ، جمعه وبوبه وضبطه وشرحه وقدم له : مكتب التدقيق اللغوي ، ط١، منشورات جروس برس ، طرابلس ، لبنان ١٩٩٦م ، ص ٢١-٥٠) .

(١) سلطان باشا الأطرش : هو قائد الثورة السورية الكبرى ضد الفرنسيين.

(٢) رشيد سليم الخوري : الشاعر القروي الأعمال الكاملة (الشعر) ص٢٩٨ .

(٣) رشيد سليم الخوري : الشاعر القروي ، الأعمال الكاملة (الشعر) : ص٤٧٠ .

(٤) ولد في قرية الجماسين في يافا (فلسطين) عام ١٩١٧م تلقى تعليمه الابتدائية والثانوي في فلسطين ، أنهى دراسة الأدب العربي في الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٣٧م ، صدر له ثلاث دواوين " همسات الأصيل " و " نفحات " و " أشواق البلد البعيد" توفي في لندن عام ١٩٩١م (انظر : معجم البابطين لشعراء العربية في القرن التاسع عشر والعشرين ٤٥٥/٢) .

نور الحق الذي يبين للأمة بنهجه طرق الصواب والحق :

أأنظمُ في الشكوى بكَ الشعرَ يائساً ... وقد كنتُ في النجوى بك الشعرَ أنظمُ؟
حنانيك هذا مولدُ الطُهر والهدى ... فهل كان في الذكرى لمن زل مُعصِمُ؟
نبيٌّ دعا للحق قوماً توزّعوا ... فلفهمو ليلٌ من الجهلِ مظلمُ
لقد قام في بطحاءِ مكة هادياً ... إلى اللهِ من ضلوا عن اللهِ منهمُ
تؤلفهم في الدِين والحق عروةٌ ... موثقةٌ ليست مدى الدّهر تُفصمُ[١]

فالدين الإسلامي دين الحق والوحدة ، نقل الناس من الظلمة إلى النور فوحّد بين الناس على أخلاق عالية ، وعقيدة واحدة تجمع ولا تفرق إذا عملت بها الأمة الآن توحدت وتخلصت من الفرقة والضعف ، ومن هنا لا غرابة أن يدرك (ميخائيل خليل الله ويردي)[٢] تلك الرابطة الأخوية التي جمع بها الرسول ﷺ الناس من حوله ، وهذا جعله يتمناها أن تجمع الناس في زماننا لذلك يستعيد تلك القيم الأخلاقية المفتقدة الآن في قوله مخاطباً الرسول ﷺ :

ليت الإخاءَ الذي في يثربَ انتشرتْ ... راياتُهُ ظل فينا غير منفصمِ
أسمعتنا فسينا واستقل بنا ... هوى ، فأمسى عزيزُ القوم كالحطمِ[٣]
فانفخ بنا نخوةً تجمع أواصرنا ... وابعث بنا همة يا باعث الهممِ
أبناءُ بابلَ أفنتهم مآثمها ... وآل فرعونَ ما شادوا سوى الهرمِ
فاستجمعوا أمركم فالله وحَّدكم ... والمكر فرقكم في حومة الجسمِ[٤]
وشرع أحمد بالقرآن هذبكم ... وجدَّ في أمركم بالحب والسَّلَمِ[٥]

(١) سعيد جريس العيسى : نفحات ، ط١ ، دار العودة ،بيروت ، لبنان ١٩٩٠م ، ص٣٧-٣٨ .
(٢) ولد في دمشق (سوريا) عام ١٩٠٤م ، عاش في سوريه والعراق ومصر ، أسهم في تأسيس النادي الأدبي بدمشق ، له ديوان " زهر الربا " ، توفى عام ١٩٧٨م . انظر : معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، ٤/ ٨٧٧) .
(٣) الحطم : المتكسر في نفسه ،لسان العرب ١٣٨/١٢، مادة (حطم) .
(٤) الجسم :الأمور العظام ،لسان العرب ٩٩/١٢ ، مادة (جسم) .
(٥) ميخائيل خليل الله ويردي : زهر الربا ، ط١، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، سوريا ١٩٥٤م ، ص٤٠-٤١ .

فالشاعر هنا يحن إلى عصر الإخاء الذي انتشرت راياته في مطلع الإسلام في عصر الرسول ﷺ ولكن النسيان الذي ستر تلك القيم عن أذهان كثيرين في عصرنا والأهواء التي تتغلغل في النفوس ، هو ما جعل حال الأمة تؤول إلى ما آلت إليه .

وكذلك وجد الشاعر (ميشال مغربي) في الرسول ﷺ ملاذاً آمناً يستغيث به من واقع الأمة فالواقع المرير يستدعي مناجاته والشكوى إليه ، فيقول :

يا ذا الذي للشعرِ في أعيادِهِ ... سوقٌ تروجُ وللعروبةِ موسمُ
العربُ ما زالوا على جمرِ الغضَا ... مما الأفاعي من عداتكَ تضرمُ
قيضْ لهم فوزاً أنلهم قوةً ... سدد خطاهم يا رسول انصرهمُ
لابد منه ذلك العيدُ الذي ... فيهِ لمنتهكي بلادِكَ مأتم[1]

فالشاعر يكثر من جمل الإنشاء القائمة على الطلب المتمثل في أفعال الأمر ، بهدف التماس النجدة من الرسول ﷺ وتسديد الخُطا نحو الحق والنصر ، فالأعداء تمادوا في غيهم وظلمهم ، والحل بطلب النصرة من الرسول ﷺ ،وهذا يكون باتباع نهجه وسنته في الدفاع عن الحق وطلبه هذا مصدره القوة التي تعيد الحق لأصحابه ،وتهزم الباغي المعتدي .

ونستطيع القول ، أن الشعراء النصارى العرب ،قد نظروا إلى الرسول ﷺ نظرة فيها الاحترام والتوقير بوصفه بطلاً أنقذ الأمة العربية قديماً ،ومدحوه من خلال ذلك ، واستدعوا شخصيته التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية معاصرة ، هي القضية العربية التي تؤرق العرب جميعاً ،وتجعلهم يجنحون إلى الماضي ، ويستدعون شخصية الرسول ﷺ في بناء الدولة الإسلامية الأولى من أجل بناء الأمة في العصر الراهن وما إلحاح الشعراء النصارى في الاعتزاز بعصر الرسول ﷺ إلا نوع من الحنين لعودة ذلك الزمان الذي ساد فيه العرب بأخلاقهم التي زرعها فيهم نبيهم

(١) ميشال مغربي : أمواج وصخور ص٢٦٨ .

الكريم ﷺ وعندما تخلوا عنها تكالبت عليهم المصائب ،والأزمات ، وكانوا يرون أن الشعر رسالة يحملها الشاعر لإرشاد مجتمعه وتوجيهه حتى لم يعد لدى كثير منهم أن الأدب مجرد تسلية أو هروب من الحياة ومشاكلها ،وقضاياها ، وأن الأديب عندما يعرض قضاياه على التاريخ يستقي منه ما يوائم قضيته المعاصرة (١).

وهكذا شكلت السياسة باعثاً مهماً من بواعث استدعاء الرسول ﷺ في شعر النصارى ، لا سيما أن أولئك الشعراء عاشوا حقبة غنية بالأحداث السياسية المختلفة ، تلك الأحداث كانت بين طرفين أحدهما الأمة العربية والإسلامية ، والآخر الغرب المستعمر ، فصدحت نغماتهم مازجين بين آلامهم الذاتية وهموم أمتهم العربية والإسلامية ، في زمن كانت أوطانهم تئن تحت نير الاستعمار وفوضى الفرقة وتفكك الصف الواحد .

(١) محمد مندور : النقد والنقاد المعاصرون ، ص٢٣٤ ، بتصرف .

الفصل الثاني

الدراسة الموضوعية

المبحث الأول : مولد الرسول ﷺ

المبحث الثاني : الإسراء والمعراج

المبحث الثالث: الهجرة النبوية

المبحث الرابع : الرسول ﷺ والجوانب الانسانية

المبحث الخامس : الرسول ﷺ في غزواته

المبحث الأول

مولد الرسول ﷺ

اهتم المسلمون بنشر سيرة الرسول ﷺ وما تنطوي عليه من عبر ودروس ، وبخاصة أمام الأزمات والمحن التي تمر على الأمة ليربطوا بين ما يواجهونه وبين ما واجهه الرسول ﷺ في سبيل نشر دعوته ، لتحديد مواقفهم من الأحداث التي تعصف بهم ، إذ لا جدال في أنهم قد اهتموا بتدوين أخباره وسيرته منذ يوم مولده الشريف إلى أن أكمل الله به دينه ، وأتم برسالته للبشر نعمته ، وترك المسلمين على الجلية الواضحة والشريعة السمحة المطهرة .

وقد افتنّ المؤرخون حول هذه السيرة الكريمة افتناناً كبيراً ؛ فمنهم من ألف في أعلام نبوته ، كالبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) وأبي نُعيم (ت:٤٣٠هـ) ، ومنهم من ألف في شمائله وأحواله ، كالترمذي (ت: ٢٧٩هـ) والسيوطي (ت:٩١١هـ) ومنهم من أرّخ له في أطوار حياته ومراحل عمره ، كابن اسحاق (ت:١٥١هـ) وابن هشام (ت:٢١٨هـ) ، ومنهم من ألف في مغازيه وسيرته كابن عبد البر (ت:٤٦٣هـ) وابن الأثير (ت:٦٣٠هـ) وغيرهم كثير ،" أما وضع القصص الخيالية عن مولده ونبوته وأزواجه وغزواته فهو من عمل الصوفية وهم الذين اتخذوا قصة مولده أحبولة يتصيدون بها أهواء الناس "[١] وبخاصة العامة الذين يكوّنون الأكثرية الساحقة من المجتمع.

وفي كل عام جديد تعود علينا بعض الوقائع التاريخية الخالدة المتعلقة بالرسول ﷺ التي تحمل الشعراء على التحدث عنها والوقوف عندها ، وهذه الوقائع كثيرة منها : المولد الشريف والإسراء والمعراج والهجرة النبوية وبعض الغزوات ... وغيرها .

ويرى بعض الدارسين أن احتكاك المجتمع العربي – من مسلمين

(١) د . زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي ، ص٢٠١ .

ونصارى – بغيرهم من الأمم الأخرى ذوي الديانات القديمة ، وبخاصة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية جعلهم يتأثرون ببعض عاداتهم ومنها الاحتفال بتاريخ المولد النبوي"[١].

والاحتفال بالموالد ليس من التعاليم الإسلامية التي جاء بها الشرع ، إذ لم يتخذ المسلمون مولد النبي ﷺ مبتدأ للتأريخ الإسلامي ، كما فعلت النصرانية بالنسبة لمولد المسيح –عليه السلام– وإنما اختاروا الهجرة دون غيرها من الأحداث .

وقد بين الشاعر (وصفي قرنفلي) سبب احتفائه بمولد النبي ﷺ عندما قال : " عقيدتي الشخصية أن محمداً ﷺ رسول كبقية الرسل ... ويجوز لي أن أرى في سيد قريش نبياً دينياً ومنقذاً قومياً فأنا أحترمه كنبيّ جاءنا بالهدى والرحمة ، وأنضوى إلى لوائه كمنقذ لهذا المشرق من إسار الفرس والرومان ، وأنا أرى في الدين الإسلامي قوة للشرق في جهاده القومي يجب استغلالها .. فاعترافاً بفضل محمد وقرآنه على العرب والعربية كتبت ما كتبت "[٢].

ونبينا محمد ﷺ ينتمي إلى نسب من أطهر الأنساب وأعلاها ، وأكثرها شرفاً قوماً وقبيلة وأسرة ، قال ﷺ : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم " [٣] .

ولدت آمنة نبينا محمداﷺ في مكة بعد وفاة أبيه بأشهر، في شهر ربيع الأول عام الفيل ، فولد النبي ﷺ يتيم الأب قال تعالى : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى) [٤] .

---

(١) السابق ص ٢٠١.

(٢) وصفي قرنفلي : وراء السراب ، ص ١٥٧ .

(٣) أبو الحسين مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٧٢م ، ٤ / ١٧٨٢ برقم ٢٢٧٦ .

(٤) سورة الضحى (٦) .

" وقد دفعت آمنة ابنها إلى المراضع في البادية – على عادة العرب قديماً – ليتلقى فيها فصاحة اللغة وسلامة اللسان وبقي في البادية حتى بلغ الرابعة من عمره ، ثم عاد محمد إلى مكة وبعد مدة توفيت والدته وعمره ست سنوات ، وهكذا أصبح يتيم الأب والأم" .(١)

وقد أشاد الشعراء النصارى بمحمد اليتيم وبنسبه ، فبه تبدّلت الدنيا من حالٍ إلى حال ، فهو الذي سينقل البشرية من الضلال إلى الهدى ، وهذا ما أدركه (جرجس كنعان) (٢) في قصيدته " الطفل المنتظر " التي يقول فيها :

في مثلِ ذا اليوم جاء الكونَ منبلجاً طفلٌ له من هدي إسلامه نسَبُ
طفلٌ به ارتفعتْ دنيا العروبةِ من حالٍ لحالٍ هي النعمى ولا عجبُ(٣)

نلحظ هنا أن الشاعر وفق في جعل علاقة الهدى بالرسول ﷺكعلاقة النسب ، وقد أجاد الشاعر حين أشار إلى ارتقاء العرب بعد مجيء الرسولﷺ إذ أصبحوا في ذروة الحضارة بعد أن كانوا قبائل متناحرة .

وتبرز دلالة اليتيم عند الشعراء النصارى في معرض الاحتفاء بمولد الرسول ﷺ لذلك قدموها على أنها ميزة له ﷺ، وهذا ما يمكن أن نلحظه عند الشاعر (كمال ناصر)(٤) الذي قارن يتم الرسول ﷺ بيتم غيره ،

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق : عمر عبد السلام ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٨ م ، ص٩٣-٩٤ .

(٢) ولد في بلدة كفتون (لبنان) عام ١٨٩٦م عاش في لبنان وسوريا والعراق ، تلقى تعليمه في مدارس قريته ، عمل بالتدريس في سوريا ، أسهم في تأسيس نقابة المعلمين عام ١٩٤٦م ،نال وسام الاستحقاق اللبناني ، توفي عام ١٩٧٥م.(انظر : طوني ضو : معجم شعراء القرن العشرين ، ط١ ، دار أبعاد ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٧م ، ٣ / ٩٨) .

(٣) مجلة " العرفان " العدد (٢) يناير ١٩٥٢م ، بيروت ، لبنان ص٥ .

(٤) ولد في بلدة بيرزيت (فلسطين) عام ١٩٥٢م تدرج في مراحل التعليم حتى التحق بكلية بيرزيت ثم أتم تعليمه في الجامعة الأمريكية في بيروت ونال فيها إجازته الجامعية في العلوم السياسية عام ١٩٤٥م عمل معلماً كما عمل في الصحافة ، أغتيل في بيروت عام١٩٧٣م من قبل إسرائيل ، من دواوينه الشعرية (جراح تغني ، أناشيد البعث) .(انظر : معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٦ / ٣٥) .

فالرسول ﷺ اليتيم سار إلى ذرا المجد والهداية حاملاً مشاعل النور للبشرية جمعاء، وليس يتمه كيتم من فقد الأب والأم فضل عن طريق الحق ، وفقد جادة الصواب لانعدام الرقيب والمربي، يقول الشاعر(كمال ناصر):

كم يتيمٍ جنتْ عليه الليالي ... عبقريِّ الفؤادِ أروعَ نابهْ
كم يتيمٍ جمّ الرغابِ طموحٍ ... للمعاني قضَى صريعَ رغابهْ
شعَّ في غابر الزّمانِ نبيّا ... بهر الكائناتِ وهجُ شهابهْ
حمل المشعلَ الذي مزَّق الجهل ... إلى ذروةِ الهدى وهضابهْ[1]

إنها صورة مضيئة في غابر الزمان حيث الظلم والطغيان والوثنية ، وهو إشعاع تنهل منه الكائنات بجمادها ونباتها وحيوانها ثم الإنسان ، وبعد ذلك تأتي صورة متحركة لذلك المشعل الذي حمله الرسول ﷺ ليعبر التضاريس الحسية والمعنوية .

وهذا الشاعر (عطا الله مغامس) [2] يبين لنا ماهية اليتم الحقيقي ، منطلقاً من أن الرسول اليتيم ﷺقد أرسله الله للبشرية جمعاء ، ليطبق حكم الله في الخلق ، وهو المبرأ من الجهل والضعف ، في حين أن يُتم غيره هو مصدر ضعفه ، وافتقاده لسمات القوة يقول :

فإذا باليتيمِ يحكمُ في الناسِ ... ويمضي فرقانه في البلادِ
أيهذا اليتيمُ ، ما اليتمُ إلا الجهلُ ... والضعفُ وانخفاضُ الهوادي
ليس فقدُ الآباء يُتماً بل اليتمُ ... افتقادُ الآباءِ والاتحاد[3]

(١) كمال ناصر : جراح تغني ، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٠م ، ص٣٨ .

(٢) ولد في بلدة دير عطية (سوريا) عام ١٩١٤م تلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه ، ثم انتقل إلى مدينة حمص لتلقي تعليمه الثانوي ، نال درجة الليسانس في الأدب العربي من جامعة القاهرة ١٩٤٧م ، عين معلماً لآداب اللغة العربية في مدينة حمص ، صدر له كتاب " فتى قلمون" ، توفي في "دير عطية" عام ١٩٥٤م.(انظر : معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ٢ / ٦٠)

(٣) عطا الله مغامس : فتى قلمون ، ضبطه ونسقه : شاكر الدبس ، ط١ ، سان باولو ، البرازيل ١٩٧٢م ، ص١٣٢

وقد كانت مناسبة المولد النبوي فرصة للشعراء النصارى للتعبير عما يكنه أولئك الشعراء تجاه نبي هذه الأمة ورسالته التي جاء بها من عند الله – تعالى – وإلى التغيير الذي أحدثه في البشرية ، ومن ثم أصبح هؤلاء الشعراء يمجدون الرسول ﷺ ويفتخرون به ، وقد كانت هذه المشاركات شائعة لدى كثير من أولئك الشعراء ، كالشاعر (القروي)، و(جورج صيدح)[١] وغيرهم .

وقصائد هذه المناسبة لا تخرج عن كونها مدائح نبوية وقد جاءت إما قصائد مفردة ،أو عدد من الأبيات ضمّنها الشاعر بعض قصائده ،وبخاصة التي تنطوي على استعراض التاريخ وأخذ العبرة من الأحداث .

والشاعر (القروي) – وهو في مهجره بالبرازيل – يسارع إلى الحفاوة بهذه المناسبة وينظم قصيدته " عيد البرية" ، وفيها يضفي خصال المديح ، والتمجيد للنبي ﷺ وأن العيد بمولده – كما يراه – عيد للبشرية جمعاء ، واصفاً إياه بأنه شمس هداية ونور حق ، يقول في مطلعها :

عيدُ البريةِ عيدُ المولدِ النبويْ في المشرقين له والمغربينِ دَوِيْ
عيدُ النبيّ ابنُ عبدِ اللهِ من طَلَعَتْ شمسُ الهدايةِ من قرآنِهِ العلوي
بدا من القفرِ نوراً للورى وهُدىً يا للتمدُّن عمَّ الكونَ من بَدوي[٢]

إنه الدوي – كما يحسه الشاعر – الذي يصاحب المولد النبوي الشريف ، رغم توالي القرون ورغم الهجمات الشرسة التي تعرضت لها أمته لإطفاء ذلك النور وإخماد تلك الجذوة ، ثم إجادة من شاعر نصراني إلى القرآن العلوي الذي يشع بالهداية، أما البيت الثالث ففيه مقابلة فريدة بين القفر والتمدن ، ثم إن فيه رداً غير مباشر على أولئك الذين يستكثرون

(١) ولد في دمشق (سوريا) عام ١٨٩٣ م ، درس فيها وأنهى دروسه الثانوية في لبنان ، عمل في التجارة في مصر ثم في باريس ، من دواوينه : " نبضات قلب – حكاية مغترب – ديوان صيدح " ، توفي في باريس عام ١٩٧٨م .(انظر : جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ص١–٥) .

(٢) رشيد سليم الخوري : الشاعر القروي الأعمال الكاملة (الشعر) ، ص٤٧٠ .

على الهدي المحمدي الحضارة والتمدن ، ويقرنونه – كيداً أو جهلاً – بالقدم والبدائية .

ويجعل الشاعر الأرض رحبة في سبيل الهداية المحمدية ، بما نشرته دعوة النبي ﷺ من خير وصلاح في أرجاء المعمورة ، وبسطت نفوذها في أرجاء الكون ، مستذكراً حواضر الأمة في تاريخها المجيد وبعد ذلك يتجه إلى الرسول ﷺ بالخطاب ، ويمزج الماضي بالحاضر من خلال مفارقة تصويرية بارعة بين سيفه الذي " لم تفلل مضاربه " وبين الذل الذي يقطر من سيوف أتباعه المتخاذلين المهزومين ، وتلك المفارقة بين محمد ﷺ الفاتح بلاد الآخرين ، وبين بلاده التي صارت ميداناً لكل قوي :

يا صاحبَ السيفِ لم تفللْ مضارُبه اليومَ يقطرُ ذلاً سيفُك الدموي
يا فاتحَ الأرضِ ميداناً لقوتّهِ صارت بلادُك ميداناً لكلّ قَوي[1]

ثم يعلن الشاعر عن أمنيته أن تعود عهود المجد في بغداد والأندلس، التي يفديها بروحه لو عادت :

يا حبَّذا عهدُ بغدادٍ وأندلسٍ عهدٌ بروحي أفدي عوده وذوي
من كان في ريبةٍ من ضَخم دولتهِ فليتلُ ما في تواريخ الشعوبِ رُوي[2]

ففي البيت الأول شعور غريب ، حيث يمجد الشاعر (غير المسلم) تلك العهود المشرفة ، وكأن ذلك الإعجاب والحب يملك عليه نفسه حتى إنه ليفديه بروحه وذويه .

وتستهوي سيرة النبي ﷺ بكل معانيها الشاعر (القروي)، داعياً لأخذ النهج والقدوة من سيرته وحياته مفاخراً الأعاجم بالنبي ﷺ، مسبغاً عليه صفات المدح والاعتزاز الذي رفع به العرب ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربه ، فيرى فيه أغلى اليتامى وأنه خير من وطئ الثرى ، والأنموذج المحتذى ، وخير المرسلين فيقول :

وحذوَ أمكِ ربيتِ البنين كما أغلى اليتامى وخيرُ المرسلين ربي[3]

(١) رشيد سليم الخوري : الشاعر القروي ، الأعمال الكاملة (الشعر) ، ص٤٧٠ .
(٢) السابق ، ص٦٥ .
(٣) السابق : ص٦٥ .

وهذا الشاعر (جورج صيدح) يفرد في قصيدته الشهيرة "المولد النبوي" التي بلغت (٥٦) بيتاً ، سيرة المصطفى ﷺ العطرة لتتفجر منها الأضواء والطيب، أمام قريش وجحودها أول الأمر ، ونتابع معه حديث الوحي وبيان الآيات المعجزة وغار حراء ، والمعجزات التي حدثت للرسول ﷺ منذ طفولته حتى وفاته ، لتتحول القصيدة إلى لوحة زاهية الألوان حيناً ومبكية حيناً ومبشرة بالنصر حينا . "وإذا عرفنا أن هذه القصيدة الباذخة كتبت في الأرجنتين عام ١٩٤٨م نعجب من جدتها ودفئها وقدرتها على التأثير بعد قرابة سبعين عاماً من إبداعها ولا يتسنى هذا على الخلود بتأثيره وجاذبيته وإقناعه إلا للعظيم العظيم من الشعر ".(١)

تشكل الأبيات الأولى من القصيدة وصفاً لمعجزة النبوة تتداخل فيها طفولة محمد ووجه قريش ، والبعد الروحي لبعثات الأنبياء والرسل ، ويظهر التركيز الدقيق على صفة البيان الذي حملته فصاحة الرسول ﷺ، والذكر الذي يمليه الوحي على قلب المصطفى ، لينهي اللوحة الأولى باقتباس الآية المكررة في سورة الرحمن : (فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)(٢)، فيقول الشاعر :

وجهٌ أطلَّ على الزمانْ ... لألاؤهُ شقّ العنانْ
فيه شعاعُ النيرا ... تِ وفيه أنفاسُ الجِنانْ
ضاقت قريشُ به أما ... يكفي قريشَ الأزهران؟(٣)
من ذا رأى طفلاً يُنا ... غي الله بالسَّبعِ المثان؟
نبذ التمائمَ وهو في ... مهدِ الرضاعةِ والختان(٤)
يا صاحبيَّ بأي آ ... لاءِ السماءِ تكذبان؟(٥)

(١) د . خالد محيي الدين البرادعي : المهاجرة والمهاجرون ، ١٠٤٣/٢ .
(٢) سورة الرحمن : ١٣ .
(٣) الأزهران : الأزهر من الرجال هو الأبيض العتيق البياض ، لسان العرب ، ٤ / ٣٣٢ ، مادة (زهر) .
(٤) التمائم : جمع تميمة ، ما كان يوضع للطفل لحمايته من الحسد ، لسان العرب ، ١٢ / ٦٩ ، مادة (تمم).
(٥) جورج صيدح : حكاية مغترب ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، لبنان ١٩٦٠م ، ص٣٣٢ – ٣٣٣ .

تظهر بلاغة الأبيات في كلمة المطلع الأولى (وجه) فقد وردت بصيغة التنكير للتعظيم كما أنها جاءت خبراً لمبتدأ محذوف ، وكأن الشاعر مدرك بلاغياً أن هذه العظمة الكبرى التي يصفها باتت معروفة، لذلك ينطلق من الخبر واصفاً ذاك النور المتسربل والمنتشر من تلك الولادة ، المبشّر بقدوم عصر جديد على هذه الأمة مخبراً بالمجاز عمّا ستحدثه هذه الولادة من وحي لاحق ، ونزول لآيات القرآن الحكيم ، وبذلك لا غرابة أن يرى هذا النبي العظيم قد تخلّى عن كثير من عادات الجاهلية مكنيّاً عنها بالتخلي عن التمائم وما شاكلها ، ثم يتابع الشاعر (جورج صيدح) حديثه عن معجزة البيان التي اتسم بها ﷺ ليخلص إلى حالة الفتح الذي حمل الهدى وشريعة الإسلام إلى الدنيا:

للرُّسلِ آياتٌ وهذا الطفلُ آيتُهُ البيانْ
الروحُ يملي ما يترْ جمه ونعمَ الترجمان
بالضَّاد آذنَ ربَّه فتخلّدتْ لغةُ الأذان
يا صاحبيَّ بأي آلاءِ الرسول تكذبان؟
وتنزلت أمُّ الكتابِ على اليتيم مع اللُبان
فهدى الأعاربَ ذلك الـ أميُّ بالسُّور الحسان[1]

فالشاعر هنا يؤكد البلاغة والفصاحة التي كانت من مميزات هذا الطفل الذي فقد والديه وعاش يتيماً وظهرت مخايل النجابة في طفولته ، ثم يصف حالة الوحي المنزّل على النبي ﷺ وينتقل بعد ذلك إلى غار حراء ، مشيراً إلى نقل الأمانة التي اختير محمد لحملها ، وكيف أخذ ينشرها بين قومه العرب ، ويتناول صيدح تعبد النبي ﷺ في غار حراء ونزول الوحي عليه ، ونشر الدعوة ؛فيقول :

شرفاً حراءَ الغارِ هل كحراءَ في الدنيا مكان
أخذَ الشهادةَ من شِفاهِ المصطَفى أخذَ البنان

(١) جورج صيدح : حكاية مغترب : ص٣٣٣ .

الـــوحيُ ســـطَّرَ شـــرعةً مـــن لا يـــدينُ بهـــا يُـــدانُ[١]

ثم يقارن بين هذا المجد الذي جاء به النبي ﷺ وبين ما لدى الغرب من قوانين ونظم إنسانية، لينهي الشاعر قصيدته بوقوعه في مزلق ،وهـو دعاء الرسول ﷺ أن يبارك للمؤمنين جهادهم ،من أجل تحقيـق الوحـدة العربية ،لكن إذا علمنا أن الشاعر ليس مسلماً هان الأمر واغتفرت مناقشته في هذه المسألة ، يقول :

هـــذا كيـــانُ الشـــرق هـــل فـــي الغـــربِ يفضـــلهُ كيـــان؟
يـــا صـــاحبيَّ بـــأيِّ آ لاءِ الرســـول تكـــذبان؟
فاشـــفعْ لـــهُ ، وأعنـــهُ يـــا نعـــمَ الشـــفيعُ المســـتعان
بـــاركْ جهـــادَ المـــؤمنين النـــافرين إلـــى الطِّعـــان[٢]

وقد قدم الشاعر(سابا زريق)[٣]مناسبة مولد الرسول ﷺ في صورة شاعرة رقيقة ، تشرق بالضياء واللألاء، وغناء الملائكة وبسمات البشرى، وبيت عبد الله يزدان بالهدى ، ويطل الوليد محاطـاً بهالـة مـن الحـق والأضواء القدسية ، ومخايل النبوة تتبدى في سيماء الوليد متمثلة في السنا الذي يشق الحجب والستور فتراه يقول :

فاض نـورٌ مـذهبُ الـلألاء رابيـاً كالعبـابِ فـي الأجـواءِ
وعلتْ صيحةُ الملائكِ أسـراباً تهـادى مسلسـلاتِ الغنـاءِ
في ثنايا سيمائه بسمةُ البشـرى وفـي سـبحهِ خفـوقُ الرجـاءِ
فانبرى سائلاً فقيل شُعاعُ الحقّ يُهـدى ليثـربَ الزهـراءِ
وقد ازدانَ بالهدى بيتُ عبـدالله فيهـا وغـاص فـي الـلألاءِ

(١) السابق : ص٣٣٣-٣٤٤ .
(٢) جورج صيدح : حكاية مغترب ، ص٣٣٦ .
(٣) ولد في مدينة طرابلس (لبنان) عام ١٨٨٨ م، تخرج في المدرسة الوطنية الأرثوذكسية تولى رئاسة تحرير جريدة "الحوادث" صدر له "ديوان سابا زريق شاعر الفيحاء" توفي في طرابلس عام ١٩٧٤م. (انظر : ماجد الحكواتي : شعراء النصارى العرب والإسلام ، ط١ ، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ٢٠٠٦م ، ص ٧٣) .

فإذا الحقُ في الوليد مطلاً والشعاع القدسي في السيماءِ
وإذا الفجر عن سنا الهدي تفتر مجاليه عبقريَّ الرُّواءِ
تتخطى الستور حانية القلبِ على طاهرِ الهوى والرداءِ[1]

وعلى طريقة أكثر الشعراء النصارى يستثمر الشاعر مناسبة الحديث عن مولده ﷺ بالدعوة إلى الحب والترابط بين فئات المجتمع من المسلمين والنصارى ،فهذه هي الأسس التي دعا إليها كل من محمد وعيسى – عليهما السلام – غير أنّ اهل الكتابين (القرآن والإنجيل) من العرب قد استبدلوا قيم الحب والنبل بقيم الجفاء والبغض ، كما تخلوا عن وحدتهم فتفرقوا فطمع بهم الطامعون ، ونهشوا بلادهم ، والحق أنّ الشاعر يكاد يعتمد في قصيدته على الوصف الموضوعي الذي يصور الواقع كما هو مما يجعل من لجوئه إلى عصر النبوة فيه نوع من الحنين إلى تلك القيم المفقودة الآن ، يقول :

زفّ هذي البشرى (محمدُ) بسّامَ الرضى لابن مريمَ العذراءِ
قل له ألفتْ مراميَ كتابينا أناساً تفرّدوا بالجفاءِ[2]

ولا تكاد تخلو قصيدة عند شعراء النصارى من هذه المناسبة ، فهذا الشاعر (نصر سمعان) المؤمن بأن الإسلام وجه العروبة المشرق ، يجعل من الرسول ﷺ – في ذكرى مولده – حامل الأمانة ومبلغ الرسالة السماوية ، وصاحب الوجه المشرق إلى الأزل فيتحدث عن تلك الشخصية بشعر يتدفق محبة وإعجاباً بصفات المصطفى فيخاطبه بصفات الضوء والعلو والفصاحة التي لا نظير لها ، والخلود الباقي ، وأنه ملأ قلب الدهر فذكره ﷺ لا يزال يتردد على ألسنة الناس ، يقول الشاعر :

بزغتَ فحيتِ الجوزاءُ مهدكْ وأعلتْ فوق مجد الشمس مجدك
وكلُّ فم لـه الفصحى لسانٌ يردّدُ عندَ حمد الله حمدَك

(١) سابا زريق : ديوان سابا زريق شاعر الفيحاء ،دار الإنشاء للطباعة والنشر ، طرابلس ، لبنان ١٩٥٥م ، ص٤٤٦ – ٤٤٧ .

(٢) سابا زريق : ديوان سابا زريق شاعر الفيحاء، ص :٤٤٩ .

وكم خلتِ الممالكُ مــن ذويهــا وأنتَ ملأتَ قلبَ الدهَّرِ وحدَك[١]

وبعد أن اطمأن الشاعر إلى هذه المناجاة الصاخبة والدافئــة التــي رفعها إلى مقام المصطفى انكب على أحزانه لينشرها بين يدي الرسول ﷺ بعد أن فقدت الأمة بطولة البناة من أمثال " عمر" و " علي "ثم يبرئ سيرة الرسول ﷺ من المتخاذلين الذين أضاعوها وكأنه نادم وعاتب وغاضب من عرب اليوم الذين أضاعوا ما شاده لهم الرسول الكريم ، ويقول :

نبيَّ قريش إنّ قــريشَ ولّــتْ وولّتْ أشرفَ النزعــاتِ بعــدك
فلا " عمرٌ" تــراه ولا "علــيٌّ" يقودُ إلى مراقــي العــزِ جنــدك
وغاية ما ترى أشــتات شــعبٍ تردّى فوقَ بردِ الحيــفِ بــردك
أعيذُكَ أن تكونَ رســول قــومٍ أضاعوا ما وقفتَ عليه جهــدك[٢]

فالشاعر يتحسر على حال العرب في عصره فبعد أن كان أفراد من قريش – وهي رمز العروبة – يسوسون الدنيا ، خلف من بعــدهم خلــف يقتاتون النزاعات ويرتدون رداء المجد على جسد الحيف والجور ، مــن ناحية أخرى أجاد الشاعر في تكثيف المشاعر عندما نادى الرسول ﷺ بــ (نبي قريش) وكأنه أراد أن يوقظ على الجسم القرشي بكــل مــا توحيــه الشخصية النبوية، وعندما يستحضر عمر وعليّاً من التــاريخ ،ويوظّــف هذين العلمين الشامخين في هذا النص فإنه يستحث الهمم ،ويلم الأشتات .

ومن المعاني التي ربطها الشعراء النصارى بذكرى المولد والتــي تدفع إلى التفاؤل بالمستقبل هي تأكيد قيمة الهداية والتقى التــي ارتبطــت بذكرى ولادة الرسول ﷺ وهذا ما نلحظه عند الشاعر (بطرس إبــراهيم عوض)[٣] الذي يجعل من الهداية والتقى وسيلة لــدحر ظــلام الجهــل

(١) نصر سمعان : ديوانه ، ص٨٢ .
(٢) السابق ص٨٣ .
(٣) ولد في أسيوط (مصر) عام ١٩٠١م تلقى تعليمه الابتدائي في القاهرة وأنهى تعليمه الثانوي فيها ، عمل موظفاً في تفتيش ضبط النيل كان عضواً في رابطة الأدب الحديث وفي جمعية الشعراء صدر له ديوان "على شاطئ الحياة" توفي في القاهرة عام ١٩٨٠م.(انظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ٣ / ٤٨) .

والشرك فتبرز لدى الشاعر صورة النبي العظيم، ناشر الهدى ، وحامل لواء الحق ، وذلك في قصيدته " مولد نبي" .

ذكرى تحلّ بروضةٍ ورحاب ... في أنفسِ الشعراءِ والكُتّابِ
ذكرى الهدايةِ والتقى بل والنهى ... وافت تُبدّد ظلمةَ المرتابِ
دينٌ لأحمدَ قد تعاظمَ شأنهُ ... بين الأنامِ برفعةِ الأنسابِ(١)

يبدو خيال الشاعر في الأبيات رحباً ابتكارياً فأنفس الشعراء والكتاب رحاب ورياض تحل بها ذكرى المولد الشريف كما يحل الغيث على الأرض الخصبة . ثم يأتي البيت الثاني فيصور ما يعتري قلب المرتاب من الشكوك بالظلمة التي توافيها ذكرى المولد بما تحمل من هداية وتقى ، ولعل تأكيد الشاعر على كلمة (النهى) حيث عطفها بـ (بل) يحمل دلالة على دور العقل وقوانينه في منظومة الإسلام ثم يمضي الشاعر في بيان أهمية الرسالة الإسلامية التي حملها محمد ﷺ ، ودورها في إنقاذ الدنيا من الظلم والضلال ، وغاية الشاعر في ذلك أن يجلو صورة النبي الكريم ، ويضعها في أبهى حلة ،ويبدو أن الاحتفاء بالرسول ﷺ في يوم مولده موضع اهتمام كثير من الشعراء النصارى ، فالشاعر(فيليب لطف الله) له قصيدة بعنوان " عيد النصر" ألقاها في يوم المولد النبوي بـ(سان باولو) ، فيوم المولد برأيه مولد للنصر، وفيها يضفي خصال المدح على النبي ﷺ واصفاً إياه برسول النور والهدى ، معدداً بعض سمات الإسلام وفضائله على البشرية إلى أن يختم قصيدته مبرزاً مجد الإسلام وداعياً إلى إعادته ، يقول:

رسولَ الله جئتَ رسولَ هَدْيٍ ... ونوراً للأعاربِ والأنامِ
فكانَ الوحيُ للإسلامِ ديناً ... يقومُ على التآخي والسَّلامِ
وشعبكَ من قضى في الكونِ عدلاً ... غداً كبشاً بجامعةِ الكلامِ

(١) بطرس إبراهيم عوض : على شاطئ الحياة ، ط١ ، دار الطباعة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ١٩٧٢م ، ص٤٩.

وعيـــدُك يـــا نبـــيَّ الله هَـــدْى ومجدٌ فيه مفخـــرةُ العظـــامِ
ألا فـــادفعْ بنيـــكَ إلـــى اتحـــادٍ فبين بنيك كارثـــةُ الخصـــامِ
فيبقى العيدُ عيدَ النصـــرِ دومـــاً ورمز الاتحادِ على الـــدوام[١]

فالشاعر يوظف في شكواه الواقع المؤلم : الرسول والوحي فيصف الرسول ﷺ أنه جاء للعالم نوراً وهدى وهما الصفتان اللتان وصف القرآن الكريم رسول الله بهما ، ليتحول إلى موقع التعرية والنصـــح والتعـــريض بالمتخاذلين الذين اقتنعوا من الإسلام بالشعائر وتركوا اللئام تجوس خلال أرضهم ، ألم يكتفوا باللغو في جامعة الكلام؟ ثـــم يتوجـــه الشـــاعر إلـــى النبي ﷺ ليطلب منه أن ينفخ في العرب نخوة تجمع أواصـــرهم ،وهمـــة تبعث عزائمهم ، ولعله يشير إلى الدعوة في إقامة الإخـــاء بـــين أفـــراد المجتمع والطوائف، ليختم قصيدته بحقيقة ما يراه، فيوم مولـــد النبـــي ﷺ مولد للنصر، ورمز للوحدة .

وقد كانت هذه المشاركات شائعة لدى كثير من الشعراء النصـــارى كالشاعر (ميشال مغربي) و(سعيد جريس العيســـى) و(إدوار مـــرقص)[٢] و(جاك صبري شماس) و(عبد الله يوركي حلاق) الذي شارك في قصائد متعددة في مثل هذه المناسبة ، ولعل هؤلاء الشعراء قد أحســـوا بأهميـــة المدائح النبوية من خلال مناسبة " المولد النبوي " فهي " قادرة على العطاء ، تنبض بالحياة في فترات الشدة ، وتمنح الإحساس بالأمان ، وتكمن فيها قوة دفع كبيرة بما تقدمه من قيم سامية ، ومثل عليا نحن في أشد الحاجـــة إليها ،فالعودة إلى نبع الإسلام الأول وأصوله هي الملاذ الآمن من التخبط الفكري الذي نعيشه في هذا العصر .

(١) فيليب لطف الله : حصاد الأيام ، ص ٣٧ .

(٢) ولد في مدينة اللاذقية (سوريا) عام ١٨٧٨م ، عمل في التدريس ثم هاجر عام ١٩٠٢م إلى مصر ليعمل في الصحافة ثم عاد إلى اللاذقية عام ١٩٠٩م صدر له ديوان " إدوارد مرقص" عام ١٩٣٥م توفي في اللاذقية عام ١٩٤٨م . (انظر : إدوارد مرقص ، ديوانه، المطبعة التجارية ، اللاذقية ، سوريا ١٩٣٥م ، ص ٥) .

ويمكن القول إن قصائد الشعراء النصارى في المولد النبوي كانت مـــادة ثرّة ، استطاعوا من خلالها أن يمتحوا فكراً جعل شعرهم أكثر تألقاً وإبداعاً وإشراقاً وإن لم تخل تلك القصائد من بعض المزالق ، لجهلهم بما تنطوي عليه في الإسلام .

المبحث الثاني

الإسراء والمعراج

التاريخ رصيد الأمة الذي يمتح منه أبناؤها أمجادهم ، ليضيئوا بـــه مستقبلهم ، ويرفعوا كبوات حاضرهم ؛ ذلك أن التاريخ يحـــرّك ضـــمائر الأمة ، ويبعث فيها الحماسة ،ويبث في كيانها الاعتزاز بماضيها ، والفخر به ، وقد قُيّض للأمة الإسلامية تاريخٌ مجيدٌ ، استمد منـــه الشـــعراء فـــي العصر الحديث موضوعاتهم واستلهموا أحداثه ، وتناول كثير مـــنهم مـــا يوائم قضاياه التي يطرحها ، إذ إن " الشاعر العربي الحديث بحكم فتـــرة البعث التي يعيشها ،وتبعاً لثقافته الوثيقة الاتصال بتراث العرب وماضيهم كان شديد الوعي بعنصر التاريخ في .. قوي الشعور به"(١).

ومن الأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي التي استلهمها الشـــعراء على مر العصور حادثة الإسراء والمعراج التي كانت "من أوضح دلائـــل صدق نبوة محمد ﷺ وذلك قبل الهجرة إلى المدينة بعام واحـــد" (٢) وفـــي السنة العاشرة من البعثة النبوية وكانت مكافأة ربانية على ما لاقاه النبي ﷺ من أتراح وآلام وأحزان ، إذ كانت بعد حصار دام سنوات في شعب أبي طالب وما لاقاه أثناءه من جوع وحرمان وفقد خديجة أم المؤمنين فبعد هذه الآلام كافأ الله نبيه فرفعه إليه وقرّبه وأدناه وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه ما واجهه من حزن وألم ونصب وتعب ، وبذلك كانت علاجاً مســـح متاعب الماضي ووضع بذور النجاح للمســـتقبل(٣) ، فبعـــد أن بلـــغ أذى المشركين مبلغه ، أيد الله نبيه بهذه المعجزة ربطاً على قلبه وتثبتاً لفؤاده ،

---

(١) د. عمر الدقاق : فنون الأدب المعاصر في سورية ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، د. ت ، ص٣٥٩.

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، ص٢٢٣-٢٢٦ وابا بكر جابر الجزائري: هذا الحبيب محمد ﷺ ، ط٢ ، دار الشروق للنشر والتوزيع للطباعة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ١٤٠٩هـــ / ١٩٨٩م ، ص١٣٥ .

(٣) محمد الغزالي : فقه السيرة ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـــ ، ص١٣٨ ، بتصرف .

وشداً من أزره ، وحثاً له على الاستمرار في الدعوة والنصح لقومه .

قال تعالى : ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)). (١)

والشعراء النصارى مثلهم مثل الشعراء المسلمين حين تثيرهم حادثة الإسراء والمعراج ، فإنها تستثير معها قضية يقف الشعراء أمامها لوثوق صلتها بهذه الحادثة ، وهي احتلال القدس ، والإسراء بوصفه حدث قبل المعراج وذلك لأن مسرى الرسول ﷺ يحتله قوم ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم ، فذكرى الإسراء تحمل معها ما حل بهذا المسجد ، مع ما منحه الله من الشرف والطهر ، والذكر الحميد ، وألمهم لما حل ببيت المقدس هو ما يسوّغ سيطرة حديث الإسراء على أشعارهم حول الرسول ﷺ إذ نلحظ أن لفظة (الإسراء) ترد في أشعارهم أكثر من لفظة المعراج ، وهذا ما يؤكد التعاطف مع قضية القدس والمسجد الأقصى وفلسطين.

وتحضر لفظة الإسراء في سياقات مختلفة منها قضية استحضار الشعراء النصارى الرسول ﷺ ، لنصرة الفلسطينيين ، ومن خلالها تحضر لفظة الإسراء في سياق الاعتراف بأنها آية كبرى ، ودلالة على معجزة الرسول ﷺ التي حباه الله بها ، وهذا ما نلحظه في قصيدة "الرسول العربي " للشاعر (ميشال مغربي) الذي يؤكد هذه المعاني في قوله :

قَيِّضْ لهم فوزاً أنلهم قوةً سدِّدْ خطاهم يا رسولُ الله انصرهُمُ
أنتَ الذي أُسري بهِ هل آيةٌ أخرى وهل للجرحِ عندكَ بلسمُ(٢)

وقد اتسم حديث الشاعر عن الإسراء في البيت الثاني بعدة سمات ، إذ صدّر البيت بقوله "أنت" وما تحمله تلك الكلمة من ايحاءات المحبة

(١) سورة الإسراء : ١ .
(٢) ميشال مغربي : أمواج وصخور ، ص٢٦٨ .

والقرب واللطف، وقال "أسري به" ولم يزعم أنه ذهب إلى المسجد الأقصى من تلقاء نفسه ، وقد حمل البيت استفهاماً يستدل من خلاله على مدى عظمة تلك المعجزة الإلهية الفريدة ، أنها منحة ربانية منحها الله تعالى نبيه – عليه الصلاة والسلام – ويختم الشاعر البيت باستفهام آخر لكنه اتسم باحتوائه على إيجاز بالحذف ، حيث المعنى ليس أحد قادر على مداواة الجراح سوى النبي ﷺ ، لأن البلسم معه ﷺ بعون الله دون سواه .

ولكن الشعراء في سياق آخر وقفوا عند الإسراء وقفة تفصيلية وصفية في سياق حديثهم عن الرسول ﷺ وهذا ما نلحظه في قصيدة " من وحي الإسراء" للشاعر (سعيد جريس العيسى) التي يفصّل فيها أحداث هذه الرحلة الكريمة، فقد أُسري بالرسول ﷺ من المسجد الحرام بمكة المكرمة ، عابراً الجزيرة العربية حتى بلغ المسجد الأقصى تحفه الملائكة ، ويحميه الله فيقول :

سبحان ربك إذ أسرى بأحمدهِ ... من مسجدِ اللهِ في إحدى لياليهِ
يطوي الجزيرةَ تجوالاً وينشرها ... في مَهْمَهٍ مقفرٍ جهمٍ نواحيه
يحارُ في ليلهِ الخرّيتُ معتسفاً ... كأنهُ ضاربٌ في غمرةِ التيه[1]
حتى إذا بلغ (الأقصى) تحفُّ به ... ملائكُ اللهِ والرحمنُ يحميه[2]

ويصف الشاعر الرحلة معلناً أن النبي ﷺ كان محفوظاً بعناية الله عز وجل ، ومحفوفاً بملائكته .

ولم يغفل الشاعر في حديثه عن رحلة (الإسراء) وسيلة تلك الرحلة (البراق) وهي الدابة التي حُمل عليها الرسول الكريم من (مكة) إلى (بيت المقدس) ، فقد استقبل الأنبياء محمداً ﷺ ثم يتابع وصف عروج النبي إلى السماء بصحبة جبريل –عليه السلام– فتهلل الأفق لذلك في رحلة قدسية كريمة :

(١) الخرِّيت : الدليل الحاذق بالدلالة ، لسان العرب ٢ / ٢٩ ، مادة (خَرَت) .
(٢) سعيد العيسى : نفحات ، ص٤١ .

على (البُراق) إلى السبعِ الطباق رقى مُصعداً نورُ ربِّ العرش يُصبيه
وصـــحبه أنبيـــاءُ الله فـــي رتـــبٍ خفّوا إلى المصطفى كلُ يحييه
وحفّ جبريل والروحُ الأمـــين بـــهِ وانهلَّ فيضٌ ربوبيّ يُغشِّـــيه[1]

وبعد أن أجمل الشاعر ذكر الملائكة التي تحمـــي النبـــي ﷺ عـــاد وفصل ذلك ، حيث ذكر جبريل الذي أحاط النبي ﷺ طوال الرحلة ثم يبين طبيعة حماية الله لنبيه ،فهي فيض ربوبي يغشى النبي ﷺ ، ولا يخفى مـــا في هذا البيت من ضعف ناتج عن الحشو في قوله : " جبريـــل والـــروح الأمين" لأن الروح الأمين هو جبريل قال تعـــالى: ((نَـــزَلَ بِـــهِ الـــرُّوحُ الأَمِينُ)) [2] ، فالعطف يقتضي المغايرة ولا مغايرة هنا .

ويمضي الشاعر في سرد أحداث هذه الرحلة الكريمة واصفاً حـــال النبي وما عليه من خوف ورهبة ملبياً نداء الله له ، حتى دنا من (السدرة) ورأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت منتهياً من قصيدته بوصف انتهـــاء الرحلة وعودته ﷺ قبل أن ينقضي الليل :

توقٌ إلـــى رحمـــوت الله يُدنيـــه والخوفُ من رهبوت العرشِ يُقصيهِ
صوتٌ من الملأِ الأعلى يهيبُ به "أقبـــلْ!" فـــأذعنَ مصـــعوقاً يلبيـــهِ
دنا من السدرة الميمونِ مغرسُـــها فكان قوســـينِ مـــن اعتـــابِ باريـــهِ
رنا إلـــى ملكـــوتِ الله فـــانبهرت عيناهُ ، وانحبست نجواه فـــي فيـــهِ
رأى الذي ما رأت عينٌ ولا ســـمعت أذنٌ على الـــدهرِ : ماضـــيهِ وآتيـــه
وآب والليلُ مـــا آبـــت كواكبـــهُ وبعدُ بالفجرِ ما شـــابت نواصـــيهِ[3]

ويختم الشاعر هذه الرحلة – في البيت الأخير– بصورة بديعـــة مبينـــاً أن النبي ﷺ رجع والليل ما زال باقيا وما شابت ناصيته بعد بانبلاج ضـــوء

(١) السابق : ص ٤٢ .
(٢) سورة الشعراء : ١٩٣ .
(٣) سعيد العيسى : نفحات ، ص٤٢-٤٣ .

الفجر الأبيض ثم يسجل الشاعر بعد ذلك اعترافه بأن حادثة (الإسراء والمعراج) معجزة من الله سبحانه وتعالى ،خص بها رسوله ﷺ وهذا فضل يؤتيه لله لمن يشاء .

لَتلكَ من مبدعِ الأكوانِ معجزةٌ وفضلُ ربك ذا من شاء يؤتيهِ

وقد توقف الشعراء النصارى في حديثهم عن الرسول ﷺ عند المعراج ، وذكروه في قصائدهم ورأوا فيه إعجازاً مادياً ،وإكراماً للرسول ﷺ " لأنه مُكِّن مما لم يُمكَّن منه أحد من سلف الرسل – عليهم السلام– وجاء هذا التمكين في وقت امتحن فيه رسول الله ﷺ ، واشتدت عليه المصائب وغُلقت الأبواب ، وهذا الامتحان للتمحيص ".(١)

وهذا ما نجد صداه عند الشاعر (وديع البستاني) الذي يقول في هذا التكريم :

ليلةُ المعراجِ ما أدراكَ ما ليلةُ المعراجِ سَل عنها الزمانا

ليلةٌ فيها إلى الأرضِ السَّما هبطت لترفع أعلى الخلق شانا(٢)

يقول إن السماء هبطت إلى الأرض في تلك الليلة ، لترفع أعلى الخلائق منزلة إليها ، ولا يخفى أن تنكير كلمة "ليلة" يحمل معنى التعظيم والإكبار ، حيث حملت للتاريخ حادثة سطرها الله في قرآنه .

وقد كانت مناسبة المعراج سبباً للفخر بالرسول ﷺ عند بعض الشعراء النصارى ، إذ رأوا الرسول الكريم قد حاز فضلاً وشرفاً لم يحزه أحد قبله ، إذ منحه الله –سبحانه وتعالى –السمو والرفعة والمجد ، لأنه خير خلق الله وأحبهم إليه ،وهذا ما عبر عنه الشاعر(لويس

(١) د.حسن فهد الهويمل: النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ط١ ،شركة ألوان ، الرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص١٧٦

(٢) وديع البستاني : ديوان الفلسطينيات ، ص٢٥ .

صابونجي) [١] عندما قال :

في الليلةِ الغراء عــرّج أحمــدُ وصفوفُ جُندِ العرشِ أجمع تنشدُ
يا جنةَ الخلدِ افتحي بابــاً لــهُ وافى "مُحَمَّد" في المساءِ يمجَّدُ[٢]

ينادي الشاعر في البيت الثاني جنة الخلد طالباً منها أن تفــتح بابــاً لرسول الله ﷺ حيث جعلها شخصاً تسمع النداء وتجيب على الفور؛ فقــد حلّ بها أشرف الخلق .

وعليه " فقد كانت معجزة (الإسراء والمعــراج) مكافــأة لرســولنا محمد ﷺ وتكريماً له على جهاده الدؤوب ، وصبره ومصابرته في مواجهة عدو لئيم ، هذا الجهاد والصبر بدأ منذ اليوم الأول مــن أيــام بعثتــه ﷺ واستمر حتى بداية هذه المعجزة ولم ينقطع بعدها " [٣] .

ونرى أن الشعراء النصارى لم يتناولوا معجــزة الإســراء تنــاولاً مجرداً فحسب ، وإنما انطلقوا من هذه المعجزة – أيضاً – إلــى ربطهــا بالواقع المعاصر الذي يعيشون فيه ، فحاولوا – جاهدين – أن يتخذوا من هذه المعجزة وسيلة للحديث عن الرسول ﷺ والإشادة بفضــائله ، وبثــه قضايا العصر التي يعيشونها وعلى الأخص قضية القدس المنكوبة .

---

(١) ولد في الحسكة (سوريا) عام ١٨٣٨م تلقى دراسته في "دير الشرفة" بكسروان حيث تعلم اللغات العربية والسيريانية والإيطالية ، وفي عام ١٨٥٤م أرسل إلى روما ونال شهادة الدكتوراه في الفلسفة ،أصدر مجلة النحلة عام ١٨٧٠م ، له ديوان شعر " النحلة " ، توفي في لوس انجلوس في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣١م.(انظر : معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٤ / ٩٨) .

(٢) لويس صابونجي : ديوان شعر النحلة ، ط١ ، بيروت ، لبنان ١٩٥٢م ، ص٣٩ .

(٣) د . محمد عبد القادر أبو فارس : الإسراء والمعراج ، ط١ ، دار الفرقان ، عمّان ، الأردن ١٤٠٦ / ١٩٨٦م ، ص٢٠ .

المبحث الثالث
الهجرة النبوية

الهجرة النبوية مرحلة حاسمة في مسيرة الدعوة الإسلامية ،ونقطة تحول فيها فبعد أن بلغ أذى المشركين ذروته أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة ،فانطلق ﷺ هو وأبو بكر –رضي الله عنه– في رحلة شجاعة رددتها كتب السير والتاريخ . وهذه الرحلة من الوقائع الإسلامية الخالدة التي توقف عندها المفكرون والباحثون ومؤرخو السيرة ، والمحللون وتناولها الشعراء في أشعارهم .

وقد فصّل ابن هشام حادثة الهجرة ، وذكر أسبابها ،" إذ ضيقت قريش الخناق على الرسول ﷺ وقررت قتله ، ولما أجمع رسول الله ﷺ رأيه للخروج ،أتى بيت أبي بكر ، فخرجا من باب صغير في ظهر البيت ، ثم عمدا جنوباً إلى غار ثور فدخلاه وأقاما فيه ثلاثاً ، وحاولت قريش أن تلحق بهما ، ورصدت جوائز لمن يأتي بمحمد ﷺ حياً أو ميتاً ،وقد أوشك أحدهم – هو سراقة بن مالك – أن يحقق هدفه ، فدعا عليه النبي ﷺ فغاصت فرسه في الأرض ، فرأى الرجل أن ذلك دليل صدق محمد فاتبعه وآمن به " (١) .

وقد رأى الشيخ محمد الغزالي أن صاحب الرسالة العظمى نبينا محمد ﷺ ، في هجرته هذه قد "ضرب من نفسه المثل الفذّ للمكافحين فمنذ أن أخذ على عاتقه تمزيق الأسداف التي ألقت في العالم ليلاً كثيفاً من الشرك والخرافة لم يفلح أحد عن ثنيه عن عزمه ، أو إعاقة مسيرته ، أو ترضيته برغبة ، أو ردعه برهبة ، وفنيت أمام عينيه فوارق الزمان والمكان ، فالغريب عنه إذا عرف الحق قريب ، ووطنه إذا تنكر للهدى فهو منه بريء والمؤمنون به آخر الدهر هم إخوته ، وإن لم يشاهدوه ".(٢)

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، ص٢٧٠ وما بعدها بتصرف .
(٢) محمد الغزالي : فقه السيرة ، ص١٨ .

وقد تناول الشعراء النصارى حادثة (الهجرة النبوية) وافتخروا بانتصارها ، ووقفوا عند خط سيرها ، كما عدوها الخطوة الحاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فالشاعر(بولس سلامة)[1] يصف ما حصل من اجتماع المشركين وتشاورهم في أمر محمد ﷺ ، ثم نزول الوحي على الرسول الكريم ، لإخباره بما يخطط له الأعداء ،وأمره علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه ، وما كان من اجتماع المشركين على باب محمد ﷺ وخروجه ﷺ، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فيقول:

بيّتُوا للنبي ميتة غدرٍ ... تحت سدلٍ من عتمة الليل ساترِ
أعلمَ اللهُ عبدَهُ فتبددتْ ... للنبي الطريد جُهم السرائرِ
وأحاطوا بيتَهُ فاستمالتْ ... دارةُ البيتِ هالةٌ من بواترِ
لفَّ بردُ النبيِّ صدرَ عليّ ... فالإطارُ السني ضمَّ المفاخرِ
هو ملء الثوبِ العظيمِ وطهَ ... ملءُ جفنيهِ والنُّهى والمشاعرِ
جاز كالوهمِ بينهم فاستعدي ... يا أكاليلَ يثربَ للمسافرِ[2]

يصف الشاعر كيف جاز النبي ﷺ من بين مشركي مكة كالوهم ، حيث لم يشعروا به ، وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى :(وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) [3]. وعلى هذا ينبغي على أكاليل يثرب أن تستعد لاستقبال النبي ﷺ، وفي ظني لم يكن الشاعر موفقاً في استخدامه كلمتي (كالوهم) و (للمسافر) أما الأولى فينبغي ألا يوصف النبي ﷺ بهذا الوصف ولو قال الطيف ربما كان أفضل ، وأما الثانية فإن النبي ﷺ لم يكن مسافراً وإنما كان مهاجراً حيث خرج من مكة

(١) ولد في جزين (لبنان) عام ١٩٠٢م ، بدأ دراسته بمدرسة القرية ، تعلم اللغتين العربية والفرنسية ، درس الحقوق وعمل في الصحافة والقضاء ، له عدد من الملاحم والدواوين منها : " فلسطين وأخواتها – عيد الرياض – عيد الغدير " توفي عام ١٩٧٩م .(انظر : معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ٣ / ٧٦) .

(٢) بولس سلامه : عيد الغدير ، ط٢، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، لبنان ١٩٦١، ص٣٢ –٣٣ .

(٣) سورة يس : ٩ .

استجابة لنداء ربه ،وفي ذلك إشارة إلى ضعف ثقافة الشاعر الإسلامية لكونه نصرانياً ولو قال "للمهاجرِ" لما انكسر الوزن ولتم المعنى. وتوقف الشعراء النصارى في حادثة الهجرة عند ما تجشمه الرسول ﷺ من عناء ، وهذا ما أشار إليه الشاعر(خليل مطران)، الذي يصور الانتصار الذي حققه الرسول ﷺ كما يصور المعاني المختلفة التي رآها في الهجرة ، ومن أهمها معنى الجهاد الحقيقي ،لذلك يستخلص منها عبرة وحكمة توضح أن الهجرة تقدّم المعنى الحقيقي للكفاح من أجل نشر الحق :

عانى محمدُ ما عانى بهجرتهِ ... لمأربٍ في سبيلِ اللهِ مَحمُودِ
وكَم غزاةٍ وكم حربٍ تجشمها ... حتى يعودَ بتمكينٍ وتأييدِ
كذا الحياةُ جهادٌ ، والجِهادُ على ... قدرِ الحياةِ ومن فادى بها فُودِي
أدنى الكِفاحِ كِفاحُ المرءِ عن سَفهٍ ... للاحتفاظ بعمرٍ رهنِ تحديد[١]

وقد صور الشاعر(خليل مطران) المعاناة والأذى اللذين تعرّض لهما الرسول ﷺ من قريش ، ولم يأذن الله – سبحانه – لرسوله بالهجرة إلا بعد أن بلغ الأذى مداه ولقي من العنت ما لقيه من المشركين :

ينوي الترحُّل عن أهلٍ وعن وطنٍ ... وفي جوانحه أحزان مكبودِ
يكاد يمكثُ لولا أن تداركهُ ... أمرُ الإلهِ لأمرٍ منه موعودِ
فإذا غلا القومُ في إيذائهِ خطلاً ... وشرَّدوا تابعيه كلَّ تشريدِ[٢]
مضى هو البدءُ والصدّيق يصحبهُ ... يُغامرُ الحزن في تيهاءَ صيخودِ[٣]
مولّياً وجههُ شطرَ المدينةِ في ... ليلٍ أعزَّ على الأدهارِ مشهودِ[٤]

بين الشاعر أن النبي ﷺ ولى وجهه تجاه المدينة في ليلة غراء مشهودة على مر العصور والأزمان ، والشطر الأول من البيت الأخير

(١) خليل مطران : ديوان الخليل ، ٣٠٠/١ .
(٢) الخطل : فساد العقل ، لسان العرب ٢٠٩/١١ مادة (خَطَل) .
(٣) تيهاء : أرض يتيه فيها السالك ، لسان العرب ١٣ / ٤٨٢ ، مادة (تيه) ، صيخود : شديد الحر ، لسان العرب ٣ / ٢٤٥ ، مادة (صخد) .
(٤) خليل مطران : ديوان الخليل ، ١ / ٢٩٩ .

ضمنه قوله تعالى : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)[١]، واستعمال الشاعر كلمة "وجهه" دون سواها إنما يرجع إلى شرف الوجه على بقية أجزاء الجسد . وقد توقف الشعراء النصارى في حادث الهجرة عند أبي بكر – رضي الله عنه – الذي صاحب الرسول في هجرته وأشادوا بموقفه في شعرهم ، وهذا ما نلحظه عند الشاعر (حليم دموس)[٢]الذي يؤكد التلازم في المصير بين الصاحبين وهذا ما جعل ذكر أبي بكر باقياً على مر الزمان فهو خير رفيق يخاف على النبي ﷺ ،ويقدم نفسه في الهلكة قبله:

لولا "أبو بكرٍ" لباتَ "محمدٌ" ... في "الغار" منفرداً غداةُ الضيق
فهو الذي تركَ العيالَ وراءهُ ... ومشى بقلبٍ للجهادِ خفوق
يا أيّها الصّديقُ ذكرك خالدٌ ... وأنا "بأحمدَ" قد عرفتُ طريقي
رافقتهُ في هجرةٍ نبويةٍ ... فرآك في الأزماتِ خيرَ صديق[٣]

والهجرة النبوية التي باتت ذكرى حميدة تستذكر في كل عام هجري توقف عندها الشعراء النصارى في قصائدهم حول الرسول ﷺ وهذا ما نلحظه عند الشاعر (صالح بطرس)[٤] الذي يفتتح قصيدته (العام الهجري) بمطلع يركز فيه غايته من القصيدة ويرمز بالهلال لما فيه من أحداث ومعان ، والهجرة النبوية من بين تلك المعاني ، والأحداث ويحمل

(١) سورة البقرة : ١٤٤ .

(٢) ولد في زحله (لبنان) عام ١٨٨٨م ، هاجر إلى البرازيل عام ١٩٠٥م وأقام مدة ثلاث سنوات يمارس التجارة ، عمل في التعليم وفي الصحافة ، أنشأ جريدة (الأيام)، من دواوينه " ديوان حليم – المثالث والمثاني – رباعيات " ، توفي في بيروت عام ١٩٥٧م .(انظر : أحمد قبش : تاريخ الشعر العربي الحديث ، ص ٣٢٥) .

(٣) حليم دموس: ديوان حليم ، ط٢ ، مطبعة دار الأيتام السورية بالقدس ، فلسطين ١٩٢٠م ، ص٧٠ .

(٤) ولد في ام درمان (السودان) عام ١٨٩٤م ، تلقى تعليمه الابتدائي في أم درمان ، ثم التحق بكلية غردون "الخرطوم" عمل موظفاً بمصلحة البريد والبرق ، أسهم في ثورة ١٩٢٤م وله فيها شعر ، له قصائد في كتاب "شعراء السودان " توفي في أم درمان عام ١٩٣٤م.(انظر : سعد ميخائيل : شعراء السودان ، ط١ ، مطبعة رعمسيس ، القاهرة ، مصر ١٩٢٤ م ، ص ٥٦) .

الهلال رؤية آمله متفائلة برغم كل شيء فيقول :

يا مَنْ رأى طوقَ الهلالِ وقد بدا يهدي لنا عاماً أغــرَّ مشــهَّرا
أكرمْ بطلعتــهِ وبهجــه نــوره إذ بشَّرتنا أنْ ستُحمدَ مخبــرا[١]

والشاعر(جورج كعدي) يجد في حادثة الهجرة النبوية عزاءً لما ابتلي في نفسه ، حتى هجر بلاده ، كما هجر الرسول ﷺ مكة بسبب ما لاقاه مــن أذى قومه ، يقول مخاطباً نفسه :

يُلاحِقُكَ العِدا في كــلِّ قُطْــرٍ كأنَّــك مــن كِبــارِ المجرِمينَــا
وكَمْ قد لاحقــوا قــبلاً نبيــاً حظياً جاء يهــدي المشــركينا[٢]

استطاع الشاعر أن يعبر عن تجربته الشخصية تعبيراً جيداً باستلهام شخصية الرسول ﷺ من خلال حادثة الهجرة ، ولعلّه يريد بذلك أن يمزج المستوى المباشر للتجربة الشخصية والمستوى الآخــر لتجربــة الهجــرة النبوية ، ليكسب التجربة الشخصية بعداً موضوعياً يتمثل في توق الإنسان إلى الحياة الحرة.

إن السمة التي تجمع الشعراء النصارى العــرب المتحــدثين عــن الهجرة النبوية الشريفة ، واستغلالهم لمناسبة أول العام الهجري ، والتــي تذكر بالهجرة النبوية من مكة إلى المدينة وما يرتبط بها من أمور تتعلــق بشخص الرسول ﷺ أو بأحداث الهجرة ، هي اهتمــامهم بــذكر ســمات الشخصية المحمدية وما عانته في سبيل نشر الدعوة ، ثم اهتمامهم بــربط واقع الأمة بتلك المناسبة ، ومحاولة التذكير بالأمجاد السابقة ، أملاً في غدٍ مشرق لهذه الأمة .

(١) سعد ميخائل : شعراء السودان ، ص٥٧ .
(٢) جورج كعدي : الكعديات ، ص٥٤ .

المبحث الرابع
الرسول ﷺ والجوانب الإنسانية

عبّر العديد من الشعراء النصارى عن عدم قدرتهم على الوفاء – شعراً – بحقّ النبي ﷺ خاصة في تقديم ملامحه الخاصة ، وما تحمله من صفات ودلالات فعظمة هذه الشخصية قد قدّمت النموذج المثال في التعامل مع الآخرين ، ولكن الشعراء النصارى في الغالب قد توقفوا عند حدود الصفات العامة لهذا النموذج ، وقد يكون ذلك ناجماً عن عدم إلمام كثير منهم بتفاصيل حياته وجزئياتها ، فذلك يشكّل خلفية ثقافية لرافد الشعر ولتنوعه ، لذلك غلب استلهام شخصية محمد ﷺ في سياق مرتبط بجلاء سمات الدين الإسلامي ،وعرض مزاياه، وبذلك قلّت في قصائدهم الملامح الخاصة المتمثلة في عرض تفاصيل عن الجوانب الإنسانية في حياة الرسول ﷺ .

فالشاعر(جاك صبري شماس) في مدحه الرسول ﷺ يطرح قضية عجز الشعر عن الوفاء بما يليق بالرسول ﷺ لذلك نراه يحمّل قصيدته مشاعره الفياضة تجاهه فالرسول الكريم أكبر من الشعر الذي يقال فيه فيقول :

يا سيد الطُّهر النبيِّ المرتجى ... ومنارةُ الإيمانِ والفرقانِ
ألقتْ عليكَ الشمسُ نورَ عقيدةٍ ... عصماءَ تشرقُ في مدى الأكوانِ
وإذا مدحتكَ يا رسولُ فإنّكم ... فوقَ المديحِ وفوقَ كلَّ بيانِ
أجللت برّك هائماً ومتيماً ... حتى ولو أُجزَى بقطعِ لساني[1]

يبين الشاعر أنه لا يستطيع الوصول إلى غاية في مدح المصطفى فأوصافه لن يستطيع أحد بلوغها ؛ وهو يقف في هذا موقف الجلال لا يخشى في حب رسول الله لومة لائم وإن عوقب بقطع لسانه فهو لا يخاف ذلك فداءً لرسول الله ﷺ .

(١) جاك صبري شماس : الفارس النبيل ، ط١ ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ٢٠٠٧م ، ص٣٢ .

والرسول ﷺ في تعامله مع أهل بيته كان " لا يكلّف من حوله عنتاً ولا مشقة ، ولا يمحو وجودهُ أهله ولا يصادر آراءهم ، ويستمع منهم صغاراً وكباراً ، ويحتملهم ويحلم عليهم في حياتهم اليومية ما داموا على جادة الصلاح ، فإذا خالفوا عنها صحح خطأهم بلطف ، وعذرهم ،وجعل يعود بهم إلى الخير"(١) وإذا أمعنا النظر في هذا الأسلوب من التعامل وجدنا أن الشاعر(إلياس قنصل)قد أشار إليه في مدحه الرسول ﷺ وأولى مظاهر الجوانب الإنسانية في حياة النبي ﷺ كما تظهر عند الشاعر (إلياس قنصل) هي علاقته بالآخرين التي يحكمها الصبر والحلم والشورى ، فيقول مبيناً هذا النهج :

ويطلبُ رأي الآخرينَ ورأيُهُ متى بدتِ الآراءُ أعلى وأصوبُ
صفاتُ نبيّ أحسنَ الله خُلقَهُ نفوسُ الورى من رِفدِها تتهذّبُ(٢)

يشير الشاعر – هنا– أن الله أدّب رسوله ﷺ فأحسن تأديبه فهو الأخلاق ذاتها منها يستمد الناس أخلاقهم وهو المنبع الأصيل لكل شيء .
وقد تحدث الشعراء النصارى عن علاقة الرسول ﷺ بالأطفال، من أبنائه وحفدته وأطفال المسلمين وغيرهم ،فقد رزق الرسول الكريم بالأولاد فكان أصلح الآباء ، بل كان مثال الأب حيثما كان له نسل قريب أو بعيد ، ذكر أو أنثى، صغير أو كبير ، فهذا الحسن بن علي و فاطمة قد دخل عليه فركب ظهره وهو ساجد في صلاته ، والنبي ﷺ في مقامه الأسمى يشفق أن يشغل الصبي عن لعبه ، فيطيل السجدة حتى ينزل الصبي عن ظهره غير معجل ، ويسأله بعض أصحابه : لقد أطلت سجودك؟ فيقول : " إن ابنبي ارتحلَني، فكرهتُ أن أعجله " (٣) .

(١) نزار أباظة : في بيت الرسول ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، ص١٢ .
(٢) إلياس قنصل : السهام ،ط٣، المطبعة السورية ، بيونس أيرس ، الأرجنتين ، أمريكا الجنوبية ، ١٩٣٥م ، ص١٧٢ – ١٧٣ .
(٣) أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد ، تحقيق : السيد أبي المعاطي النووي وآخرين ، ط١ ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ١٤١٩هـ ، ٤٩٣/٣ .

وقد توقف الشاعر(إلياس قنصل) عند علاقة الرسول ﷺ بالأطفال برهافة عالية مضيفاً إليها خصلة نبيلة من خصال الرسول ﷺ وهي رأفة الرسول ﷺ بالشيخ الضعيف ، مشيراً في الوقت ذاته إلى علاقة الرسول ﷺ بحفيديه الحسن والحسين ، فيقول :

ويحنو على الشيخ الذي جف عزمه ويحبو مع الطفل البريء ويلعبُ[١]

وقد كان موقف النبي ﷺ من الأطفال والأيتام موقفاً غنياً بالإنسانية والرأفة ، تجلّى في العطف والحب والرحمة والتودد ، فما يكاد الرسول ﷺ يرى طفلاً صغيراً في غدوه أو رواحه إلا ويبش له، ويسلم عليه ويلاطفه، حتى في أدقّ الظروف وأحرجها ، قال أنس بن مالك –رضي الله عنه– " ما رأيتُ أحداً ارحمَ بالعيالِ من رسول الله ﷺ " [٢] وقد أدرك الشعراء النصارى ذلك فأخذوا يتغنون به شعراً ، فهذا الشاعر(ميخائيل ويردي) في قصيدته " وحي البردة " التي يبين فيها منهج الرسول ﷺ في التعامل مع الأطفال والنساء والأيتام فيقول :

من علّمَ الجاهليَّ الغرَّ مكرمةً؟ وأد البنات أم البالي من النظُمِ؟
محمدٌ ردّ من ضلّوا وعلّمهم حقَّ النساء اللواتي كنّ كالرمم
عزّزت كل فتاةٍ حين صحتَ بنا: ما أولدَ العزُّ غيرَ السادةِ الحُشُم
ترعى اليتيم وترعى كل أرملةٍ رعي الأبِ المشفق الباكي من اليَتَم[٣]

فالشاعر في هذه القصيدة يرينا عظمة نبي الإنسانية محمد – صلوات الله وسلامه عليه – فهو اليتيم الذي لم تولّد فيه هذه الصفة غير القوة والعدل والإنصاف ، تلك القوة التي أعطت العالم دروساً في التربية وبناء الحضارة التي تقوم على الرجل والمرأة ، فالمرأة شقيقة الرجل لا تلد إلا السادة الحشم ، لذلك يوصي بإنصافها وإعطائها حقوقها ، فمنهج

(١) إلياس قنصل : السهام ، ص١٧٢ .
(٢) أخرجه مسلم برقم ٣١٦ ، ١٨٠٨/٤ ، كتاب الفضائل .
(٣) ميخائيل خليل الله ويردي : زهر الربا ، ص٣٩–٤٠ .

الرسول ﷺ في تعامله مع المرأة قائم على العدل لذلك أبطل الإسلام عادة وأد البنات وعلم الناس حقوق النساء وواجباتهن ، وعزّز من مكانة المرأة ورعى الأرامل ، وبذلك يكون هذا النبي الكريم قد استبدل بعادات الجاهلية وقيمها في التعامل مع المرأة قيماً أخرى تنهل من قيم الإسلام ونبله ما يجعلها في منأى عن الظلم والهوان، ويحفظ لها حقوقها وهذا ما فرضه القرآن الكريم قال تعالى :(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[١] .

وقد أشاد بمكانة المرأة في الإسلام الكاتب النصراني (الدكتور نظمي لوقا) في قوله : " إن الرجل يمسك المرأة ويقوم على أمرها في كنفه ، فهي تحت رحمته ، ومن ثم وجبت عليه الرحمة بها ، ولم يجز له الاستبداد بأمرها إنها أمانة الله في يده وعنقه وليس أمانة الله محرجة لمن ألقى السمع وهو شهيد .. حتى إن الرسول قال في خطبة الوداع : (واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوانٍ لا يملكن لأنفسهنَّ شيئاً وإنكم إنما أخذتموُهنَّ بأمانةِ الله) " [٢].

وعلى الرغم من أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها في الميراث والتملك والتجارة وحرية التصرف ، إلا أن الشعراء في إظهارهم لعلاقة الرسول ﷺ بالمرأة توقفوا عند ذلك توقفاً عاماً ، وهذا ما نلحظه عن الشاعر(نقولا فياض) [٣] الذي لحظ المكانة السامية التي حظيت بها المرأة بفضل الإسلام ونبيه ﷺ إذ أعطيت حقوقها ، فعبر عن ذلك في قصيدته بقوله :

ولم يحبس عن الأنثى حقوقاً ولم ينقضْ لسلطتها كيانا

(١) سورة البقرة : ٢٢٨ .

(٢) د . نظمي لوقا : محمد الرسالة والرسول ، ط١، دار الثقافة للنشر ، القاهرة ، مصر ٢٠٠٥م ، ص١٠٤ .

(٣) ولد في بيروت (لبنان) عام ١٨٧٣م تلقى تعليمه في مدرسة الأقمار الثلاثة ، ثم تعلم الطب في باريس ، عمل في الصحافة محرراً في " الأخبار " وكتب في "المقتطف" و "الهلال" ، من دواوينه " رفيف الأقحوان – دنيا وأديان – بعد الأصيل " توفي عام ١٩٥٨م .(انظر : معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ٢٠ / ٩٨) .

فكان لهـا جـلال الأمِّ عرشـاً وإحسـانُ النبـوة صـولجانا
تخضّب بالحيـاءِ لهـا جبينـاً وما خضبتْ لزينتهـا بنانـا[1]

يبين الشاعر كيف حمى الإسلام المرأة وحفظ لها حقوقها ، وأكرمها وجعل الحياء عنوانها وخضب به جبينها لا بالزينة ونحوها مما من شـأنه أن يهين المرأة ويجعلها آلة للشهوات .

وتحضر صفة الرأفة عند الشعراء النصـارى فـي حـديثهم عـن الرسول ﷺ إذ رأوا أن هذه السجية التي كانـت تميّـز علاقـة الرسـول بالمساكين تقدم النموذج الأمثل للبشرية فقد كان الرسول ﷺ خير من تتجلى فيه هذه الصفات ، وخير من يمثلها ويتمثلها على وجه هذه البسيطة ،ومن هنا لا غرابة أن نجد هذه الصفات جميعها ماثلة عنده ، لذلك أكثر الشعراء النصارى من التغني في شعرهم فكان الرسول ﷺ دائم الهم من أجلهـم ، يعينهم ما استطاع ويجزل لهم الأعطيات ويفكر فيهم قبل غيرهم وهذا مـا جعل الشاعر(ميخائيل ويردي) يتغنى بهذه العلاقة الرفيعة في قوله :

وكنتَ أرأفَ بالمسكين من دولٍ رأتْ بأمثالهِ سِرباً من الغـنمِ[2]

وفي قصيدة للشاعر(إلياس قنصل) يؤكد القيم النبيلة التـي كانـت تحكم الرسول ﷺ بصحبه رضوان الله عليهم ، وبالآخرين عموماً تلك القيم التي تقوم على الصبر ، والأخوة ، وإغاثة الملهوف ، والصدق إذ يقول :

يقابلُ الصبرِ الجميـلِ ضـغائناً تمادى بها وغدٌ يَسُـبُّ ويثلـبُ
ويوصي بإسعاف الفقيرِ وإن يكن عدواً لدوداً في الوقيعـة يـدأبُ
إذا جاءهُ الملهوفُ فهـو لـهُ أخٌ وإنْ جاءهُ المحرومُ فهو لـهُ أبُ
ويرفضُ إلا الصدقَ في كلِّ موقفٍ ولو كانَ فيهِ ما يضرُّ وينكبُ[3]

(١) د . نقولا فياض : رفيف الأقحوان ، ط١ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ١٩٥٠م ، ص١٦٦ .
(٢) ميخائيل خليل الله ويردي : زهر الربا ، ص٤٠ .
(٣) إلياس قنصل : السهام ، ص١٧٢ –١٧٣ .

وهذا الشاعر(ميشال مغربي) يتناول جزءاً من حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وما عرف به من أمانة وصدق ، من ذلك خروج النبي ﷺ إلى الشام في تجارة خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها– فيقول:

قالوا الأمينُ وقالوا اليُمنُ طالعُه فلم يُضيء بسوى الإسعادِ فرقدُهُ

ما عاد من متجرٍ إلا وفي يـــدهِ رزقٌ حلالٌ به الباري يُـــزوده(١)

فحين يتاجر فلا يربح بالغش والخداع ، ولا يرضى إلا بالحلال من الرزق الذي يبارك الله فيه فيزيد ويعظم.

وهكذا يمكن القول إن وقوف الشعراء النصارى عند الرسول ﷺ في علاقته بأهل بيته من أطفال ونساء وشيوخ ومعاملتـــه للمســـكين والفقيـــر والملهوف كان وقوفاً عاماً لا تفصيلياً وبذلك أهملوا جوانب كثيرة في حياة الرسول ﷺ كان يمكن أن تغني أشعارهم وترفدها بروافد عميقة .

(١) ميشال مغربي : أمواج وصخور ، ص٣٣٤ .

المبحث الخامس

الرسول ﷺ في غزاوته

لما استقر المسلمون في المدينة ، وعرفت قريش أن الإسلام في نمو وازدهار، وكل يوم يمضي في قوته وانتشاره ، وأنه إذا بقى الوضع هكذا فإنه سيفلت منهم الزمام ، هنالك شمروا للمسلمين عن ساق العداوة والمحاربة من كل جانب .

ولما اشتد المشركون في إيذاء الرسول ﷺ وإيذاء أصحابه وألجأوهم إلى شعب أبي طالب ،وألحقوا بهم صنوف الأذى وهم مع ذلك صابرون محتسبون ولما تضاعف إيذاؤهم وعادوا في طغيانهم أذن الله للمسلمين في القتال ، قال تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [1] فكان لابد من مواجهة الظلم والطغيان ووقف المعتدين الذين لم يرتدعوا بالحكمة والموعظة الحسنة أن يوقفوا برد العدوان وتجريد الحسام .

شرع رسول الله ﷺ ببعث سرايا وبعوثاً إلى بعض القبائل والنواحي ، بقصد إلقاء الرعب في قلوب المشركين ، وإظهار شوكة المسلمين وقوتهم .

وقد كان توقف الشعراء النصارى عند غزوات الرسول ﷺ جزءاً لا يتجزأ من مدحهم له ، فذكرهم لإنجازاته وحروبه مع المشركين كان حاضراً في مدحه ، وقد أدرك هؤلاء الشعراء حقيقة تلك الغزوات ، فالرسول ﷺ لم يكن يقاتل من أجل القتال ، وإنّما من أجل نشر الحق ، فكان الهدف النبيل والسامي وراء الغزوات التي قام بها الرسول ﷺ في مواجهة الشرك والكفر وإخضاع البشرية لعبودية الله ، وتخليصها من كل كفر وشرك وجور .

وقد أدرك الشعراء النصارى البعد الأخلاقي في غزوات الرسول ﷺ

---

(١) سورة الحج : ٣٩ .

فهذا الشاعر (ميخائيل خليل الله ويردي)، عندما رأى أن خلق الرسول ﷺ العظيم هو ما جعله يقدم دعوته باللين والإقناع بعيداً عن العنف فيقول :

فيا نبيَّ الهدى حُيّيتَ من علمٍ بالطُّهرِ مُتّسمٍ بالعدلِ مُدَّعم
وقلتَ إني هدىً للعالمين ولم تلجأ إلى العنفِ بل أقنعتَ بالكَلِمِ[١]

وهذا الشاعر (إلياس قنصل) يشيد بأخلاق الرسول ﷺ الذي يقابل الضغائن والعداوة التي تطفح بها قلوب المشركين بالصبر والأناة والعفو عن الأسرى تواضعاً ونبلاً ، لا ضعفاً وخوفاً ، فيقول :

وما نشَر الإسلامَ جيشٌ مرتبٌ عليمٌ بأسرار الوقائع محَربُ
ولكن صفاتٌ في الرسول كريمةٌ ببوتقةِ الأحداثِ تسمو وتنجبُ
يقابلُ بالصبرِ الجميلِ ضغائناً تمادى بها وغدٌ يسُبُّ ويثلبُ
ويعفو عن الأسرى وكان وعيدُهم بما في نواياهم من الثأرِ يُلهبُ[٢]

ويستلهم الشاعر (إلياس قنصل) المصاعب التي واجهت الرسول ﷺ في دعوته ، كقصة ذهابه إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، وموقفهم منه ورميهم إياه بالحجارة ودعائه لهم بالهداية وأن "يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً" [٣]، فيقول الشاعر في ذلك :

إني ذكرتُكَ يا محمدُ والعدا يتألبونَ تألّب الذؤبانِ
فيلاحقونكَ بالترابِ وبالحصى وبكلِّ وغدٍ حانقٍ شَنْآنِ
وتظلُّ تدعو لا تني لك همةٌ حتى يَتَّم النصرُ للديانِ
فرأيتَ معجزةَ العزيمةِ والرجا دنيا تَذلُّ لقوةِ الإيمان![٤]

(١) ميخائيل خليل الله ويردي : زهر الربا ، ص٣٩ .
(٢) إلياس قنصل : السهام ، ص١٧٢ .
(٣) أخرجه مسلم ، برقم ١٧٩٥ ، ١٤٢١/٣ كتاب الجهاد والسيرة .
(٤) إلياس قنصل : ألحان الغروب ، ص٩٩ .

ويتوقف الشاعر (مارون عبود)[1] عند المنهج الإنساني القويم الذي كان الرسول ﷺ يتميز به في حروبه مع الشرك ، فبعد أن يشيد بفتوحاته ، يتحدث عن بغضه – صلوات الله وسلامه عليه –

للقتال ورأفته في معاملة من حاربوه ،وصفحه عنهم رغم ما لاقاه منهم ، وكأن الشاعر قد أدرك أن النبي ﷺ قد جاء معلماً للبشرية في سلمه وحربه ، وهذا ما جعله مثالاً يُحتذى من قبل المسلمين جميعاً نتيجة إعجابهم بحنكته وحكمته ، فيقول :

ما كنتَ سفّاحاً ولم تسفكْ دماً ... إلا بحقٍّ العادلِ الديّانِ
لو كنت في قومٍ تُسيغ عقولُهم ... وحياً لكنتَ كأودعِ الحِملانِ
لولا اعتداؤهمُ عليكَ وجورهم ... ما خضتَ حرباً طاعناً بسنانِ
قد أحرجوكَ فأخرجوكَ فنلتَهم ... ومذِ ارعووا عن ذلكَ الطغيانِ
أسمحتَ ثم صفحتَ عن آثامهم ... وغمرتهم بالفيء والإحسانِ[2]

فالشاعر يؤكد أن النبي ﷺ لم يكن عنيفاً أو قاسياً ، ولم يحارب قومه من تلقاء نفسه ، لكن قاتلهم غضباً لله ،ولما انتصر عليهم عفا عنهم وصفح وتلك أخلاقه وسماحته وهذا ما يؤكده معظم الشعراء النصارى في قصائدهم .

وقد تحدث الشعراء النصارى عن جهاد الرسول ﷺ وغزواته التي قام بها ضد أعدائه ، أعداء الإسلام ، وتغنّوا بانتصاراته وفتوحاته فهذا الشاعر (عطاالله مغامس) يفخر بانتصارات الرسول ﷺ وشجاعته في وجه البغي والطغيان ، فالنصر يسير في ركابه ، معبراً عن حكمته ﷺ وحسن إعداده وتدبيره وصدق عزيمته وإيمانه بدعوته ، مستلهماً قول الرسول ﷺ : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نُصرت في الرعب

(١) ولد في قرية عين كفاع (لبنان) عام ١٨٨٦م ، تلقى تعليمه في عدة مدارس في لبنان ، عمل في الصحافة والتدريس ، صدر له ديوان " زوابع " عام ١٩٤٦م ، توفي في قريته عام ١٩٦٢م . (انظر : معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ١٤ / ٨٩) .

(٢) مارون عبود : ديوان زوابع ، ط١ ، دار المكشوف ، بيروت ، لبنان ١٩٤٦ م ، ص٥٨ .

مسيرة شهر ... " [١]فيقول :

رسولُ العروبةِ ما صاحَ للفَتْح "الله أكبـــــر" إلاّ انتصَـــــر
وما كرَّ يوماً علـــى البغـــي إلا قضى البغيُ إن لم يُولّ الـــدُّبر[٢]

ومما يجدر ذكره هنا ، أن بعض الشعراء النصارى قد أفرد قصائد مستقلة وصف فيها أحداث الغزوات وما دار فيها من نصرٍ للحق والإيمان ، وهزيمة للظلم والضلال وفيما يلي نتوقف عندها :

١- غزوة بدر :

لاشك أن توقف الشعراء النصارى عند هذه المعركة لـــه دلالاتـــه الكثيرة ،فهذه المعركة تعدُّ المواجهة الأولى بين المسلمين والمشـــركين ، وهي البداية الحقيقة لانتصار الحقّ على الباطل ، وربما كانت الفيصل بين الإسلام والكفر ، ففيها أعز الله جنده ، وبها رفع الله شأن نبيّه ، وأصـــبح للإسلام وأهله بعدها الشأن الكبير في أنحاء الجزيرة العربية وخارجها .

فقد أدرك الشاعر (بولس سلامه) الخلفية التاريخية لغـــزوة بـــدر ،ومن هنا نظر إلى هذه الغزوة نظرة الإعجاب والإكبار ، وأضحت ملهمة له لشحذ الهمم واستخلاص العبر والدروس ، فيقف عند هـــذه المعركـــة موقف الاعتزاز والمباهاة بهذا النصـــر العظـــيم وقـــد عنـــون قصـــيدته بعنوان " محمد في بدر " إشارة إلى معركة (بدر) ، احتفاءً بهذا اليوم الذي انتصر فيه المسلمون وحققوا فيه البطولات العظيمة ، لذلك نرى الشـــاعر يدعو الأنصار والمهاجرين إلى الفخر بهذا اليوم الذي نصر الله فيه عباده المؤمنين فيقول :

يا ذراري الأنصار تيهوا على الأحقابِ فخراً فـــأنتمُ الوجهـــاءُ
كـــــان آبـــــاؤكُم دروعـــــاً لـ"طَـــــهَ" ولهم كانَ صوبُهُ والدُّعاءُ

(١) اخرجه البخاري ، بر قم ٣٣٥ ، ص٩٢ ، كتاب التيمم .
(٢) خليل مغامس : فتى قلمون ، ص٩٦ .

يتهـــاوى المهـــاجرونَ علـــى الآذيِّ فيهِ وتُشرقُ الـــدأماء[١]

وقد أجاد الشاعر في تصوير الحرب بين المسلمين وكُفّار قـــريش ، فبرع في تصوير المسلمين الذين لم يجبنوا في المواجهة ، فهم موقنون أنّ الله معهم ، وواجهوا العدوّ بقيادة رجل عظيم هـــو النبـــي –صـــلوات الله وسلامه عليه– " وكان فيهم رجالٌ أشداء، ماضو العزيمة في مقدمتهم على –رضي الله عنه– وقد دفع رسول الله ﷺ راية المهاجرين إليه"[٢] فـــأبلى المسلمون بلاء حسناً وانخذل المشركون ما بين قتيل وبين جريح وأسير ، يقول الشاعر(بولس سلامه):

قادهم فـــارسٌ يجـــر المنايـــا فالمنايـــا وزنـــدهُ حلفـــاءُ[٣]
ما رأتْ مثل سيفهِ قوسُ نصرٍ منذ ما شرّفَ الحديـــدَ انتضـــاء
سيفُ طهَ مضى بكـــفِ علـــيٍّ وتســـاوى الجـــلالُ والإبـــلاءُ
وانبرى ذو الفقار ينثرُ مجـــداً فالأعـــادي ســـنابلٌ حُصـــداءُ
من عَدتْهُ المنونُ آبَ جريحـــاً أو أســـيراً فليـــنعمِ الأســـراءُ
يومَ بـــدرٍ إذ البـــواترُ والمـــر ـــرانُ لمعٌ وغايـــةٌ شـــجراء[٤]
خفقتْ رايةُ "العقـــابِ" انتشـــاءً ومشتْ في خيوطِهـــا الســـرّاء[٥]

والشاعر (بولس سلامه) في هذه القصيدة يصور تفاصيل تلك المعركة ، فلما نزل المسلمون بجانب بدر ، سار النبي ومن معه حتى إذا أتى أدنـــى ماء من القوم نزل عليه ، وبنى حوضاً فملئ ماءً ، وأنزل الله –عز وجل – في تلك الليلة مطراً ، فكان على المشركين وابلاً شديداً منعهم من التقـــدم وكان على المسلمين رحمة وطّأ الأرض وصلّب الرمل وثبـــت الأقـــدام ،

(١) بولس سلامة : عيد الغدير ، ص ٣٤ . ومعنى كلمة الآذي : الموج الشديد ، لسان العرب ١٤ / ٢٧ ، مادة (آذى)، ومعنى كلمة الدأماء: البحر ، لسان العرب ١٢ / ١٩٥ ، مادة (دأم) .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، ص٣٧١ .
(٣) زنده : موصل طرف الذراع في الكف ، لسان العرب ٣ / ١٩٦ ، مادة (زند) .
(٤) المران : الرماح الصلبة ، لسان العرب ١٣ / ٤٠٣ ، مادة (مرن) .
(٥) بولس سلامه : عيد الغدير ، ص٤٣-٤٤ .

وربط على قلوبهم (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) [١] .

ولما تراءى الجمعان قال رسول الله : " اللهم هذه قريش بخيلائها وفخرِها تحادّك وتكذِّب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني " [٢] وقد استلهم الشاعر ذلك في قوله :

ربِّ ثبتْ أقدامَنا فرُبانا ... دَمِثات رمالها الدعصاءُ[٣]
واسقِنا فالشفاهُ حَراء ظُمأى ... جفّتِ البئرُ واستجار السِقاءُ
كان جَدبٌ أن السحابَ توانى ... واكفهرت آكامُنا القرعاء[٤]
قالها فالسحابُ درٌّ كريمٌ ... لكريمٍ خصومهُ الأغبياء
واستفاض القليبُ فالرملُ مشدودُ ... الخلايا ومتنهُ صفواءُ[٥]

ويمضي الشاعر في عرض تفاصيل هذه المعركة ، فلما عدل رسول الله الصفوف ، واستدارت الحرب أخذ يكثر من الدعاء والابتهال والتضرع وقد علم أنه لو وكل المسلمون إلى أنفسهم وقوتهم فالنتيجة واضحة نتيجة كل قليل ضعيف أمام قوى كثير العدد ولما رأى الكفتين غير متكافئتين ، استغاث بالله الذي لا معقب لحكمه ، وتوجه إلى ربه داعياً بقوله : " اللهم إن تهلك هذه العصابةُ اليوم لا تعبد بعدَها في الأرض"[٦]حتى سقط الرداء عن منكبه ، وقد استجاب الله دعاء نبيه ، ونزل الله الملائكة بالرحمة

(١) سورة الأنفال : ١١ .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، ص٣٦٤ .
(٣) دمثات : الدمثاء الأرض السهلة ، لسان العرب ٢ / ١٤٩ ، مادة (دمث) ، الدعصاء : أرض سهلة فيها رملة تَحْمىَ عليها الشمس فتكون رمضاؤها أشدَّ من غيرها ، لسان العرب ٧ / ٣٥ ، مادة (دعص) .
(٤) آكامنا : جمع آكُم وهو الموضع الذي يكون أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً ، لسان العرب ١٢ / ٢٠ ، مادة (أكم) ،
القرعاء : منهل من مناهل طريق مكة ، لسان العرب ٨ / ٢٦٩ ، مادة (قرع) .
(٥) بولس سلامه : عيد الغدير ، ص٤٦ . ومعنى كلمة القليب : البئر ، لسان العرب ١ / ٦٨٩ ، ، مادة (قلب) .
(٦) ابن هشام : السيرة النبوية ، ص٣٦٧ .

والنصر ، وقاتلوا المشركين قال تعالى : ((إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ))[١] والشاعر (بولس سلامه) يستلهم وقوف الرسول ﷺ داعياً ربه لينصره فنراه يقول :

إذ يجوبُ النبيُّ كثبانَ بدرٍ ... وحواليه عصبةٌ أمناءُ
قال : ربيّ اكفني عدواً مريداً ... أبطرتْه الحميّةُ الرعناءُ
فاقَ عدّاً وصولةً وعتاداً ... والأقلون زُهَّدٌ فقراءُ
قام جبريلُ فوقها فتداعى ... تحتها من كُماتهم شهداءُ[٢]

بين الشاعر – هنا– أن جبريل – عليه السلام – والملائكة كانوا أعواناً للنبي وأصحابه في هذه المعركة ، وقد استجاب لهم الله تعالى وأوفى بوعده (((بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ))[٣] .

ثم يتابع الشاعر (بولس سلامه) مطولته في وصف بدر ، فنراه يسخر من المشركين الذي اتوا – بكل غرور وغطرسة وخيلاء – إلى بدر ، كي يلقنوا محمد ﷺ وأصحابه درساً قاسياً ، فكانت الخيبة الكبرى ، فقد خسروا شبابهم ، وأُسِرَ رجالهم ، وهرب من تبقى منهم فبعد أن خرجوا من (مكة) إلى (بدر) والأمل يحدوهم بالنصر والظفر فنحروا الإبل ، وشربوا الخمور ، وجدوا الهزيمة في انتظارهم من أولئك الذين رضوا بالقليل ، وزهدوا بالدنيا وطلبوا الشهادة والموت ، فكتبت لهم الحياة الدنيا والآخرة ، فيقول :

يسترون العريَ القبيحَ بطَمْرٍ ... أو بدرعٍ أفاضها الإطواءُ[٤]
فزنودٌ ضوامرٌ عارياتٌ ... وقدامٌ يحزّ فيها الحَفاءُ

(١) سورة الأنفال : ١٢ .
(٢) بولس سلامه : عيد الغدير ، ص٤٥ .
(٣) سورة آل عمران :١٢٥ .
(٤) طمر : الثوب الخلق ، لسان العرب ٤ / ٥٠٣ ، مادة (طمر) .

فهنا العابدوكَ سـراً وجرهـاً وهنـاك الأصـنام والخبثـاءُ
وأبو "الجهل" عندهم وعلى كفيه قـام الطغـاةُ والجهـلاءُ
وقيانٌ من كـلِّ أنثـى هلـوكٍ ظفرت مـن جفونِهـا الأسـواءُ
تَخِذوا المـالَ للفسـاد فخمـرٌ فقِمـارٌ فشـهوةٌ فبِغـاءُ[١]

يصور الشاعر حال المشركين في هذه المعركة وعلى رأسهم " ابو جهل " فقد اتخذوا المال ذريعة لسد شهواتهم من خمر ونساء ، فثمة فـرق بين العابدين الخاشعين وبين الطاغين الفاسدين .

ويمضي الشاعر في الفخر بيوم (بدر) الذي أعز الله فيـه الحـق ، وخذل الباطل وارتوت فيه سيوف المؤمنين من دماء المشركين ، ففـرح المؤمنون بنصر الله الذي وصفه القرآن بقوله تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّـهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[٢] فيقول :

وتبارت حُمرُ الظُّبـا حاليـاتٍ وتوالـت بفوزهَـا الأنبـاءُ
بدرُ يا مسـتهلَّ خيـرِ جهـادٍ عزّ فيـهِ الحنيـفُ والحنفـاء[٣]

فالأبيات السابقة تركّز على قضية انتصار الحق ، وزهوق الباطـل رغم كثرة العدد والعتاد عند المشركين ، وقلّتها عند المسلمين ، وفي ذلك دلالة واضحة على أن النصر لا يكون بالعدد أو العدة فحسب ، وإنما يجب أن يدعمهما قوة الإيمان وعون الله وتوفيقه لبعاده الصادقين المؤمنين به .

٢- غزوة أحد :

كانت هذه الغزوة ثاني لقاء بين المسلمين ومشركي قريش ، الـذين عزموا على أن يثأروا لما أصابهم في بدر ،وصمّموا علـى أن يهـاجموا المسلمين في عقر دارهم لاستعادة هيبتهم ومركزهم بين القبائل العربيـة ، وإذا كانت معركة بدر لدى الشعراء النصارى رمزاً للنصر وسبيلاً إلـى

(١) بولس سلامه : عيد الغدير ، ص٤٥ .
(٢) سور آل عمران : ١٢٣ .
(٣) بولس سلامه : عيد الغدير ، ص٤٦ .

الإقدام فإن معركة أحد قد اتخذها أولئك الشعراء لاستنباط الدروس والعبر ، وعدم اليأس في بعض النكبات التي تصيب الأمة .

وهذه الغزوة تقدّم لنا عبرة يلخصها محمود شاكر بقوله :- بعد أن ظنّ بعض المسلمين - "أن النصر سيكون حليفهم كيفما فعلوا ما داموا على دين الله ، وغيرهم كفّار ... فإن الله ناصرهم ومؤيدهم بدعم من عنده ، وخاصة أنهم رأوا الملائكة في بدر بجانبهم ، تثبتهم وتطمئن نفوسهم ، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يعلّمهم درساً من أنّ النصر لا يكون إلا بأخذ الأسباب، والاستعداد للقتال، والله بعدئذٍ يؤيد بنصره من يشاء ، .. فكانت درساً عملياً قاسياً ..." (١)

والحقّ أنّ الأبيات التي قالها الشعراء النصارى في معركة أحد قليلة جداً ،ولذلك ما يسوّغه فالمسلمون عادة يحتفون ببدر ويتحدثون عنها ، وقلما احتفوا بأحد كما أن بدراً تأخذ أهميتها من كونها أول المعارك التي تحقق فيها النصر ،وفي العادة الناس يحتفون بالنصر ، ولا يكون ذلك مع الهزائم ، من هنا فقصائد الشعراء في مجملها لم تتناول جوانب المعركة تناولاً شاملاً ، ولكنها في مجملها تدل على اطلاع بعض هؤلاء الشعراء على السيرة النبوية ، وإدراكهم للدروس المستفادة من هذه المعركة ، وهذا ما نلمحه عند الشاعر (مارون عبود) في قصيدته " النبي محمد ﷺ " تحدث فيها عن نزول الوحي على النبي – صلوات الله وسلامه عليه – وعن بطولة الرسول ﷺ وشجاعته وتواضعه فلم يختل زهواً بانتصاره في بدر ، ولم تثنه هزيمة " أحد" عن مواصلة الطريق ، وتعليم المسلمين الدروس المستفادة في هذه المعركة ، وبذلك تشكل الهزيمة حافزاً لمواصلة الطريق إلى الدعوة إلى دين الحقّ ونشر نور الإسلام مهما وَعُرَ الدربُ فيقول :

(١) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ١٩٧٩م ، ٢٢٩/٢ - ٢٣٠ .

لم يزْهِهُ بــدرٌ ولا "أحــدٌ" ثنــى عزماته عــن خطــةِ العرفــانِ
وكــذا النبــوَّةُ حكمــةٌ وتمــردٌ وتقًــى وإلهــامٌ وفــرطُ حنــانِ
هي ذلك الروح الذي يتقمّصُ الــ أبطالَ ، للحدثِ العظيمِ الشــانِ(١)

ثم يتوقف الشاعر عند أهم الأسباب التي أدت إلى خــروج قــريش لمقاتلة الرسول ﷺ وأصحابه، إذ يرى أنّ هذا الخروج كان انتقاماً لهزيمة بدر ، ورداً لبعض المهابة التي فقدت بعد تلك الهزيمة ، لذا خرجت بقضها وقضيضها ، برجالها ونسائها ، كما أجلبت بخيلها ورجلها وبكل ما تملك خشية العار والانكسار مرةً أخرى فيقول في ذلك :

أحدٌ ســبيلُ اللهِ ســيناءُ النبــي الهاشــميِّ ومصــرعُ الأوثــانِ
ألواحُه هبطت سطوراً مــن دمٍ لمّا تناضَــلَ عنــدهُ الحزبــانِ
يمشي براية "أحمدٍ" حزبُ الهدى والشرك يُزجيــهِ أبــو ســفيانِ
فعلا فحيحُ المشركينَ كأنَّ فــي تلكَ الصدورِ جهنّمَ الأضــغانِ(٢)

ويصور الشاعر حال المشركين وصدورهم تغلي كالقــدور حقــداً وحنقاً على رسول اللهﷺ وأصحابه ، إذ علا فحيحهم وكأنهم الأفاعي تريد أن تنهش أجساد المسلمين ، وكأن زفير جهنم في قلوبهم يكاد يفتح منها باباً على المسلمين ، ويمضي الشاعر في عرض تفاصيل هــذه المعركــة إذ جمعت قريش حلفاءها واستنفرتهم ، ثم اتجه الجميع – رجالاً ونساءً – إلى المدينة قاصدين محمداً ﷺ وصحبه كي يأخذوا بثأرهم ، وينتقموا لقــتلاهم ويردوا مهابتهم المهدورة ، يقول الشاعر :

تلكم قــريشٌ جمَّعــتْ أحلافَهــا واســتنجدتْ للعــارِ بالحُبشــانِ
من كل موشــومٍ قليــل تَسَــربُلٍ رحبِ الــرداء مشــمّرِ الأردانِ
بلحى مهذّبةِ الحواشــي أُطلقــت مخضــوبة الســبلاتِ بالحنّــانِ

(١) مارون عبود : ديوان زوابع ، ص٥١-٥٢ .
(٢) السابق : ص٥٢ .

وذوائـــبٍ معقوصـــةٍ ملتفّـــةٍ مثل الأفاعي حولَ كلِّ جـــرانِ[1]
يتنفشـــونَ قنافـــذاً مـــذعورةً وإذا عـــدوا عُصـــباً فكالـــذؤبانِ
ونساؤهم بين الصفوفِ عوارمـــاً بـــدفوفهنَّ وزغـــردات هجـــانِ
سقنَ الرجالَ إلى الضّلالةِ فهملجوا ويحَ الرجالِ تُقـــادُ بالنســـوانِ[2]
دهَموا الرسولَ فما ألان جناحَـــهُ لِلكـــاثرين وقـــامَ كالصـــفَّوانِ
سِرْ يا محمّدُ لا تخـــف غِرّاتِهـــا فستنجلي عن قـــدرةِ الربـــانِ[3]

فالشاعر يجيد في وصف المعركة من خلال تقـــديم صـــور قاتمـــة ساخرة لجيش المشركين ، والحقُّ أنّ مثل هذا التصوير قد نجح في نقـــل الحالة النفسيّة التي تسيطر على جيش المشركين ، إذ إن الشاعر أراد من وراء تقديم التصوير الخارجي الشكلي لأجسام المشـــركين ووجـــوههم أن يظهر دخيلتهم المملوءة بالحقد والغلِ والضلال ، لذلك فإنهم لـــم يـــدخروا شيئاً لهذه المعركة حتّى النساء شاركن في هذه الغزوة ، وهـــي مشـــاركة لطغيان الرجال على السير في الضلال والبعد عن جادة الصـــواب ، ثـــم يتابع الشاعر (مارون عبود) في وصفه للقـــاء الجيشـــين ، ونلحـــظ أن الشاعر لم يشر إلى هزيمة المسلمين بعد أن خالف الرماة أمر الرسول ﷺ ولم يأخذوا بوصيته ، وربما يكمن وراء ذلك مســـوّغ فنّـــي ، فالشـــاعر معاصر ، وهو يقرأ التاريخ وسيرة الرسول ﷺ من جانب قيمي أخلاقي ، لذلك كانت نظرته للمعركة نظرة عامة ، تقوم على رؤية فنية مفادهـــا أن الصراع هنا هو صراع بين الخير والشر ، وبذلك فإن الشر إن انتصر في جولة في الماضي ، فإن تلك الجولة أسست فيما بعد لانتصـــار الإســـلام وانتشاره والعبرة دائماً بالنهايات ، وما الصعاب التي واجهها المسلمون في نشر الدين الإسلامي ومنها معركة أحد ؛ إلا دروسٌ مستفادة في الصـــبر والتحمّل والإعداد الجيد للمعارك والانتصارات وعدم التواكل ، وهذا ربما

(١) جران : باطن العنق ، لسان العرب ١٣ / ٨٦ ، مادة (جرن) .
(٢) هملجوا : انقادوا : لسان العرب ٢ / ٣٩٤ ، مادة (هملج) .
(٣) مارون عبود : ديوان زوابع ، ص٥٣ .

كان مسوغاً لعدم ذكر الشاعر هزيمة المسلمين ، لذلك نراه يصف المعركة بقوله :

دارتْ رحَى الهيجا على لهواتها مجنونـــةً وتلاحـــمَ الجمعـــانِ
فصليلُ أســـيفهم زئيـــرُ مآســـدٍ ورنينُ أنبلهم عزيـــفُ الجـــانِ
وقضَى المهيمنُ أن يُمهّرَ عبدُهُ بـــدمٍ بـــلاغ الـــوحِي للأكـــوانِ
وكذا الرسالةُ لا يؤيَّـــد وحيُهـــا إلا إذا كُتبـــت بـــأحمرَ قـــانِ[1]

يشير الشاعر – هنا– إلى أن ما يصيب المسلمين من أذى إنما هـــو بقدر الله الذي قدّر أن تبلّغ الرسالة مقرونة بدماء الشهداء الأبطال الـــذين يحرصون على بذل أنفسهم في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمة الحق .

٣– فتح مكة :

كان فتح مكة حدثاً عظيماً في تاريخ الأمة الإسلامية ، وقد تغنـــى به الشعراء في مختلف العصور وبخاصة حينما تلم بالأمة طوارق الحدثان وتعصف بها روح الأعداء ، فيذكر الشعراء أبناء الأمة بماضيهم المجيد ، وهذا الفتح هو نهاية المطاف في لعداء الدائر بين محمـــد ﷺ ومشـــركي قريش أعز الله فيها الإسلام ، وخذل الكفر والشرك والنفاق ، فقـــد كـــان المسلمون في عهد الرسول ﷺ يتطلعون دائماً إلى أداء العمرة وزيارة بيت الله الحرام ، وذات يوم أخبر النبي ﷺ أصحابه – رضوان الله علـــيهم – برؤياه الصادقة ، وهي أنهم سيدخلون المسجد الحـــرام آمنـــين محلقـــين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون ، قال تعالى : ((لَقَدْ صَدَقَ اللَّـــهُ رَسُـــولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَـــكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُـــوا فَجَعَـــلَ مِـــن دُونِ ذَلِـــكَ فَتْحـــاً قَرِيباً))[2] .

وقد تغنى شعراء النصارى بهذا النصر العظيم، وأعجبوا ببطولته،

(١) السابق ص٥٤ .
(٢) سورة الفتح : ٢٧ .

وافتخروا بمجده ، وهذا ما نلحظه عند الشاعر (مارون عبود) الذي يقدّم صورة تحطيم الأصنام حول الكعبة المشرفة وعندها علا هتاف التوحيد في مكة ، وامتد – بإذن الله – إلى شتى أصقاع المعمورة .

ويصور الشاعر دخول رسول الله مكة ، وهو واضع رأسه تواضعاً لله ، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن لحيته لتكاد تمس واسطة الرحل ، يقول الشاعر :

قد طافَ "بالبيتِ العتيقِ" مطَّهراً ... وغداً سيعدوه إلى البلدانِ
"اللهُ أكبرُ" دهورتْ أصنامَكم ... فتحطمت أسمعتَ صوتَ أذانِ
هذا "بلالُ" يبلِّغ النبأ العظيمَ ... ويطبعُ اسم اللهِ في الأذهانِ
ومحمدٌ مغضٌ جلالاً خاشعٌ ... ملء النفوسِ جمالهُ الروحاني[1]

وهذا (جميل لبيب الخوري)[2] يذكر حادثة تحطيم الأصنام على يد الرسول ﷺ في قصيدته "المولد النبوي " فيقول :

قُلِعتْ جذورُ اللَّاتِ والعزّى وقد ... زالا فليسَ على الثَّرى أثارُ
والبيتُ طُهِرَ من ضَلالات فلا ... صنمٌ ولا وثنٌ ولا أحجارُ[3]

ومن خلال الاستعراض السابق لحديث الشعراء عن غزوات الرسول ﷺ وفتوحاته ، نستطيع أن نستنتج نتائج عدة أراد الشعراء تذكير أمتهم بها ، لذلك برزت في قصائدهم أهما :

أولاً : أكدت النصوص ضرورة بذل النفس والمال لكلّ من أراد انتصاراً لدينه ، وعلواً لشأنه ورفعة لأهله ، وأكد الشعراء أنّ العفو

(١) مارون عبود : ديوان زوابع ، ص٥٧ .

(٢) ولد في قرية كفر باسيف (فلطسين)عام ١٩٠٧م ، حصل على إجازة في الحقوق من معهد الحقوق في القدس ،صدر له ديوان "أيام ونغم" عام ١٩٧٧م ، توفي في كفر باسيف عام ١٩٨٦م ، (انظر : معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ٥ / ٦٩) .

(٣) جميل لبيب الخوري : ديوان أيام ونغم ، ط١ ، دار القبس العربي ، عكا ، فلسطين ١٩٧٧ م ، ص ٢٠ .

والصفح خصلتان نبويتان كريمتان تأتيان بالخير الكثير والفضل العميم.

ثانياً : أن النصر والتمكين لا يكونان بالعدد أو العدّة فحسب ، وإنما هما – قبل كل شيء– عون من الله وتوفيق لعباده المؤمنين به المتوكلين عليه ، بعد بذل جهدهم .

ثالثاً : نلحظ أن الأسلوب المسيطر على طريقة عرض الشعراء للغزوات هو الأسلوب التقريري الذي غلب عليه الطابع الإخباري المستند إلى حقائق التاريخ ووقائعه وهذا ما كان على حساب الجانب الفني الذي غاب كثيراً وكاد يختفي .

رابعاً : حاول الشعراء إبراز بطولات وفتوحات النبي ﷺ بصور تنبئ عن إعجاب وإكبار له ، من خلال الإشارة إلى أنها باقية ذكراها عبر الزمن ، وأثرها لا يزال يفرح بذكره الأحفاد .

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول : اللغة (الألفاظ والتراكيب)

المبحث الثاني : الصورة الشعرية

المبحث الثالث: الموسيقى الشعرية

المبحث الأول

اللغة (الألفاظ والتراكيب)

الألفاظ والتراكيب معاً هما اللبنة الأساسية لكل عمل أدبي ، وهناك علاقة وطيدة بينهما ، ولا ريب أن اللفظ وسيلة التعبير الأدبي ، والوعاء الذي يحمل المعنى إلينا ، وهو الكلمة المفردة في مقابل التركيب الذي يطلق على عدة كلمات في عبارة ، قد تشكّل جملة ، أو تنقص أو تزيد ويطلق عليها النقد الحديث الأسلوب ،أو العمل الأدبي.

"وقد كان النقاد الأوائل يصنفون الشعراء وشعرهم إلى طبقات آخذين في حسبانهم هذين المقياسين فاشترطوا للألفاظ ما يضمن لها جمال التعبير في المعنى المنظومة فيه ، من ذلك تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج ، وأن تكون بعيدة عن الوحشية والعامية ، وأن تجري على العرف العربي من غير شذوذ وأن تكون معتدلة الحروف " (١)

وفي العصر الحديث أولى النقاد هذين العنصرين أهمية كبرى في تحديد مكانة الشاعر قوة وضعفاً ، وذلك وفقاً لما تتسم به الناحية اللغوية عموماً من سمات دلالية وعروضية وموسيقية وتركيبية.

ولا ريب أن الألفاظ التي يختارها الأديب ، والنسق الذي يرتبها فيه عنصران أصيلان في تعبيره ، وفي قيمة عمله الأدبي ، لأنهما هما وحدهما اللذان ينقلان إلينا كامل شعوره .

أولاً : الألفاظ :

مما يجدر تأكيده أن الشعر ليس له لغة يختص بها من حيث هي لغة ، ويستأثر بها دون النثر ؛ ذلك أن ألفاظ اللغة حقل مباح لهذين الفنين ، وحين يقال أن للشعر لغة خاصة به فإنما يراد أن للكلمة في العر بريقاً وسحراً يتأتى لها وينسرب إليها من طرق مختلفة ، كالرؤية الإنسانية

(١) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، تحقيق : علي فودة ، د٢، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص٦٠-٨٢ .

والعاطفة المتدفقة ، والنغم الموقَّع .

وفيما يلي نتوقف عند أهم السمات الفنية التي ميزت الألفاظ في النصوص المدروسة :

١- السهولة والقوة :

تعد سمة اليسر والسهولة من أوضح السمات اللغوية للألفاظ عند شعراء النصارى ، ولا تعني سهولة الألفاظ أن المعاني سطحية أو تافهة ، فليست الألفاظ في بساطتها هي المحك ، ولكن الطاقة أو العاطفة أو الحركة التي يسبغها الشاعر عليها هي التي تحدد قيمتها .

وهذا ما نجده عند كثير من الشعراء الذين مدحو الرسول ﷺ ومنهم (وصفي قرنفلي) الذي خاف أن يوصف بمجاملة المسلمين ،أو مداهنتهم لحاجات في نفسه ، فبدأ بالدفاع عن نفسه ، وتسويغ مدحه الرسول الأعظم ، فيعلن أن طائف الحب طاف به ، وكان وراء كتابة قصيدته في مدح النبي العربي ، ويكمن وراء ذلك الإعجاب بشخصه ، فيقول :

قد يقولنَ: "شاعرٌ نصراني ... يُرسلُ الْحبَّ في كِذَاب البيانِ
يتغنَّى هوى الرسولِ ويهذي ... بانبثاقِ الهُدى من القرآنِ
ينتحي الجبهةَ القويةَ يحدو ... ها رياءً، والشعرُ لا وجداني
كذبوا والرسولِ، لم يجرِ يوماً ... بخلافِ الذي أكنُّ – لساني
ما تراءيتُ بالهوى، بل سقاني ... طائفُ الحبّ والهوى ما سَقاني
أوَعارٌ على فتى يعربيٍ ... أن تغنّى بالسيد العدنانى؟
أوَليس الرسولُ منقذَ هذا الشـ ... ـرق من ظلمةِ الهوى والهوانِ؟
أَفكُنا لولا الرسولُ سوَى العُبْـ ... ـدان؟ بئستْ معيشةُ العُبْدانِ!
أوَليس الوفاءُ أن تُخلص المنـ ... ـقذَ حباً إن كنتَ ذا وجدَانِ؟
فالتحياتُ والسلامُ أبا القا ... سمِ تُهدَى إليكَ في كُلِ آنِ[1]

(١) وصفي قرنفلي : وراء السراب ، ص٧٧ .

نلحظ أن الشاعر لم يستخدم في نصّه مفردات غريبة أو تحتاج إلى معاجم لشرحها ، وإنما استخدم المفردات السهلة الواضحة الدالة المعبرة عما يريد ، ومسوّغ تلك السهولة والوضوح في مفردات الشاعر أنّ اللغة في النص ذات طبيعة إقناعية ، وهذه الوظيفة ذات صلة بالعقل أكثر منها بمنطق الشعر ، فالشاعر يحاول جاهداً أن يبرز أن حبّه الرسول ﷺ حبٌّ حقيقي وليس حباً ينطوي على نفاق لذلك نراه ينطلق من فرضية ابتدأها بقوله " قد يقولون" هذه العبارة ذات الطبيعة الافتراضية ، التي تتبع بأدلة ذات صبغة عقلية تظهر الحب وتقدم البراهين عليه ، فالشاعر لا يظهر خلاف ما يبطن، وذلك ليس من عاداته "لم يجر يوماً –بخلاف الذي أكنُّ– لساني " ثم يقدم الصفات التي تجعل النبي جديراً بالمدح في عين الشاعر ، وهي في مجملها صفات حقيقية قُدِمت بصيغتها الواقعية الاعتيادية (السيد العدناني ، المنقذ ، الرسول) وهي بمجملها ألفاظ واضحة سهلة أقرب إلى المباشرة وليست بحاجة لشرحها .

وطبيعة الموضوع ، وحرص الشاعر على إيصال الفكرة واضحة خالية من اللّبس ، قد تلجئ الشاعر إلى انتقاء الألفاظ المتسمة بالسهولة والوضوح ، وهذا ما نلحظه عند الشاعر (نقولا فياض) في قصيدته (محمد ﷺ) التي يتضح فيها هذا الملمح جلياً في أغلب ألفاظه وتراكيبه، وهذا ما يسهّل علينا فهم شعره وإدراك معانيه دون جهد وعناء ، فالألفاظ تقدم المعاني والدلالات دون عناء من المتلقي ، وهذا يدل على شاعرية الشاعر ، وطبعه في التعامل مع موضوعه ، يقول :

نبيَّ العُرْبِ ألهمني بيانَا على عجزي أهزُّ به الزمانَا
وأرفعُ للنفوسِ لواءَ حقٍّ وأبسطهُ على الدُّنيا أمانَا
وأجعلُ في حنايا كل صدرٍ مولدِك المباركِ مهرجانَا[1]

فطبيعة المقولة التي يريد الشاعر تقديمها – وهي عجز البيان عن

(١) د . نقولا فياض : رفيف الأقحوان ، ص١٦٤ .

وصف عظمة النبي ﷺ فرضت على الشاعر اختيار الكلمات المألوفة التي جعلت من الرسول الكريم الملهم للشعراء ولقريحة البيان ، من هنا يجعل الشاعر النبي ﷺ رافع راية الحق وملهم البيان ، لذلك يرى في مولده فرحة للدنيا ، وقد عبّر عن كل ذلك بألفاظ منها (ألهمني ، للبيان ، " العجز ، الحقِّ ، الأمان) وهي في مجملها معبّرة عن المراد دون تجشّم أو عناء .

ويكمن سبب الوضوح في القصائد المدروسة إلى طبيعة الرؤية الفنية للشعر عند هؤلاء الشعراء ، فعلى ما يظهر من قراءة تجاربهم أنهم قد رسخ لديهم أن الشعر هو فن الحياة لا تكلّف فيه أو تعقيد ، لذلك عدّوا السهولة والوضوح والرقة الغنائية عماد الجمال في الشعر ،ولذلك ابتعدوا غالباً عن الحوشي والغريب في ألفاظهم واقتربوا من السهولة والعذوبة ، ولكن هذه السهولة في الألفاظ والوضوح فيها جاء مقترناً بسمة أخرى هي سمة القوة ، فالمتصفح لشعر هؤلاء حول الرسول ﷺ يجد عدداً من المطولات الشعرية ذات الإيقاع العالي والألفاظ الفخمة الغنية في دلالتها ويمكن أن نلحظ ذلك في قول الشاعر (ميخائيل ويردي) :

يا أيُّها المصطَفى الميمونُ طالعُهُ قدْ أطلعَ اللهُ منكَ النورَ للظُّلَمِ
وكيفَ تُشركُ بالرحمنِ آلهةً لا يستطيعون ردَّ الروحِ للرمَمِ
عاديتَ أهلكَ في تحطيمِ بدعتهم من ينصر الله بالأصنامِ يصطدم
كأنَّ ربك لم يخلُقْ لدولتِهِ سواكَ من مُرسَلٍ بالحق معتصمِ
شرعٌ على أقومِ الأركانِ أسَّسهُ للعالمينَ نبيٌّ طاهر الشيمِ
غذي عقولَ الورى حتى أتاحَ لهم عيشَ النعيمِ ونقَّاهُم من الإثم
كأنَّما الشرعُ جزءٌ من نفوسِهِمُ فإنْ هُمُ وعدوا استغنوا عن القسَمِ[٢]

فهذا المقطع فيه ألفاظ قوية الجرس بسبب تقارب مخارج الحروف في كثير من الكلمات ، وبسبب الإكثار من حروف الإطباق ،وبعض الكلمات

(٢) ميخائل خليل الله ويردي : زهر الربا ، ص٣٦ .

تكررت غير مرة كذلك تكرر أكثر من حرف في النص ،منها مثلاً حرف الراء الذي ورد (١٤) مرة وحرف الكاف الذي ورد (٩) مرات والدال (٧) مرات وكذلك ورود كثير من حروف الإطباق وهي الصاد والضاد والطاء والظاء وردت (١٣) مرة وتقاربت كما نلحظ في كلمة "يصطدم" وكل هذا التماثل والتقارب أشاع في النص قوة وجرساً متناغماً مع دلالات النص الذي افتتحه الشاعر بأسلوب النداء للرسول الكريم، منعوتاً بصفات قوية " المصطفى ، الميمون طالعه " وهي ذات اشتقاقات صرفية متماثلة (اسم مفعول + اسم فاعل) وطبيعة هذه الصيغ تعطي قوة للفظ ولا سيما أنها جاءت في إطار دلالي نعتي للرسول الكريم .

٢- الثراء والفقر في الحصيلة اللغوية :

وهنا يبرز تفاوت الشعراء المدروسين في التعامل مع المعجم اللغوي ، إذ تختلف حصيلة كل شاعر عن الآخر من حيث الثراء والفقر ، والحقُّ إنّ هذا عائد إلى ناحيتين أولهما : طبيعة الموهبة الشعرية ، وثانيهما: اتّساع ثقافة الشاعر أو محدوديتها ، وبناء على ذلك لحظنا أن هناك تفاوتاً بين الشعراء من هذه الناحية فوجدنا الشعراء الذين يمتلكون قوة تعبيرية مستمدة من موهبة وسعة اطّلاع ، كما عند الشعراء : (زكي قنصل) ، (وإلياس قنصل)، (وخليل مطران) ،(وجورج سلستي) وغيرهم ، يقول (خليل مطران) واصفاً الرسول ﷺ :

إذا غَلا القومُ في إيذائهِ خَطَلاً وشرَّدوا تابعيهِ كلَّ تشريدِ
مضَى هو البدءُ والصدِّيق يصحبهُ يغامر الحزنَ في تيهاءِ صيخود
مولياً وجههُ شَطرَ المدينةِ في ليلٍ أغرَّ على الأدهارِ مشهود[١]

نلحظ هنا جزالة اللغة ، فألفاظه معجمية فصيحة فخمة ، ومهارته عالية في اختيار ألفاظه وسبكها داخل العبارات وهنا تكمن قوة أسلوبه .

وعلى الرغم من دقة الشعراء في اختيار ألفاظهم ، إلا أن بعضهم وقع

(١) خليل مطران : ديوان الخليل ٢٩٩/١ .

في بعض الهنات شأنهم شأن غيرهم من الشعراء ،من ذلك ارتكابهم بعض الضرورات الشعرية [٢] التي ينبغي أن تجتنب كما يري أبو هلال العسكري "وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية فإنها تشين الكلام وتذهب بمائه"[٣].

ويعد قصر المدود من أكثر الضرورات وأوضحها في شعرهم كما في قول (ميشال مغربي) :

كان الرضَى بابن عبدِ الله يوم أضا إضاءةَ اليُمنِ والإقبالُ فرقدُهُ[٤]

وقول (سعيد العيسى) متحدثاً عن الإسراء :

فَينصِتُ الكونُ للقرآنِ ثانيةً جبريلُ يهبطُ من عليـاهُ يمليهِ[٥]

وقول (جميل لبيب الخوري) في يوم مولد النبي ﷺ :

جبريل جاء مبلِّغاً وحي السما تحدو خطاهُ ملائكٌ أطهارُ[٦]

٣- بين التراث والمعاصرة :

إذا ما نظرنا في شعر الشعراء النصارى حول الرسول ﷺ فسنلحظ أنهم انحازوا غالباً إلى اللغة الفصيحة ذات الرنين التراثي ، وربمّا طبيعة الموضوع ، وهو الرسول الأعظم ﷺ قد فرضت عليهم الانحياز للمفردات المستمدة من التراث المتمثلة في القرآن الكريم والشعر القديم بعصوره المختلفة .

وإذا تأملنا شعر النصارى في الرسول ﷺ نجد أن اللغة التراثية قد أدت دوراً فاعلاً في نقل الرؤية والتعبير عنها لدى بعض الشعراء الذين

(٢) الضرورة الشعرية : خروج على قواعد اللغة لا قواعد الوزن : انظر : د/ ابراهيم أنيس : موسيقا الشعر ، ط١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ١٩٨٨م ، ص٣٢٠ .

(٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري : الصناعتين ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٧١م ، ص١٥٠ .

(٤) ميشال مغربي : أمواج وصخور ، ص٢٦٥ .

(٥) سعيد العيسى :نفحات ، ص٤١ .

(٦) جميل لبيب الخوري : ديوان أيام ونغم ، ص٢٠ .

وفقوا إلى حد كبير في تطويع تلك اللغة لتتواءم مع الرؤية الحديثة ، وهذا ما يمكن أن نلحظه عند أغلب الشعراء فهذا (خليل مطران) في مطولته " رأس السنة الهجرية التي يمدح فيها الرسول ﷺ فيقول :

عَانى "مُحمَّدُ" مَا عانىَ بِهِجرَتِهِ لِمأرب في سبيلِ الله محمودِ
وكَمْ غزاة وكم حربٍ تجشَّمها حتى يعود بتمكينٍ وتأييد
كذا الحياةُ جهادٌ والجهادٌ على أدنى قدرِ الحياة ومن فادى بها فُودِي
الكفَاحِ كفَاحُ المرءِ عن سفهٍ للاحتفاظِ بعمرٍ رهنِ تحديد[١]

فالشاعر يستخدم في قصيدته ألفاظاً ذات إرث وجداني في اللغة، وهي مرتبطة بالوجدان العربي والإسلامي مثل (الهجرة ، غزاة، الجهاد ، ...) وهي مفردات ملائمة للموضوع الرئيس – مدح الرسول ﷺ – وتنسجم مع المقولة الرئيسة للنص ،كما تدلّ على المستوى الرفيع لشعر مطران عموماً.

وقد استخدم بعض الشعراء بعض المصطلحات السياسية المعاصرة، كما في استخدام الشاعر (نقولا فياض)كلمة (انتداب) في معرض الشكوى من حال الأمة في عصرنا الحالي أمام الرسول ﷺ يقول :

وكانَ هناكَ في الحكمِ انتدابٌ على الأعرابِ يُثقلهم هَوانَا[٢]

والإنصاف يقتضي منا أن نشير إلى أن استخدام المفردات المعاصرة في شعر الشعراء النصارى لم يكن استخداماً مُسفاً ، بل كان استخداماً موظفاً للمفردات الفصيحة المعاصرة ، وهذا مما لا يضير فنية اللغة الشعرية ولكننا في الغالب يمكن أن نسجل ملحوظة مهمة وهي سيطرة اللغة التراثية على قصائدهم ، وهذا وفق ما نرى أن طبيعة الموضوع وجلاله قد فرضها ، فإجلال الشعراء الرسول الكريم جعلهم يستخدمون المفردات المعبرة بلغة مستمدة من الأدب القديم .

(١) خليل مطران : ديوان الخليل ١ / ٣٠٠ .
(٢) د . نقولا فياض : رفيف الأقحوان ، ص١٦٥ .

ثانياً : التراكيب :

إنّ اللفظة الشعرية مهما أوتيت من قوة وسلامة وحسن انتقاء وفصاحة ، تبقى عديمة الأثر والقيمة إذا لم تُسبك في سياق يناسبها ،وجوٍّ شعري يلائمها وهذا ما يؤكد الخلفيات التي أشار إليها (عبد القاهر الجرجاني) [١] ضمناً عندما رأى أن السياق هو القادر على منح اللفظة المفردة دلالتها المحددة[٢].

وقد اعار النقاد الأوائل تركيب الجملة الشعرية اهتماماً بالغاً ، فعابوا على بعض الشعراء رداءة الصياغة ،وهلهلة البناء ،وسوء الربط بين اللفظ ومعناه ،وتكلف الشاعر نظم ما لا يحسن .[٣]

ومن هنا يرى بعض النقاد في العصر الحديث ومنهم الدكتور (محمد مندور) " أن القبح والابتذال لا يمكن أن يكونا في اللفظ ،وإنما يكونان في الفكرة أو الخاطرة أو الإحساس ... وأن العبرة ليست بمفردات اللغة ،بل بمجملها وتراكيبها وطرائق التعبير فيها ، واللفظ العادي قد يكسب قوة شاعرية بارزة إذا دخل في جملة أو تركيب شعري أو صورة بيانية "[٤]

ومن الملحوظات الأسلوبية والفنية على أسلوب الشعراء النصارى في حديثهم عن الرسول الكريم فيما يأتي :-

أولاً : غلبة الأسلوب الخبري في مطلع القصائد على الأسلوب الإنشائي وهذه الغلبة للأسلوب الخبري في المطالع تؤكد النزعة السردية لدى الشعراء .

ثانياً : شيوع أساليب الأمر والاستفهام والنداء في الأسلوب الإنشائي في

---

(١) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٠٢ -٤٧١هـ) واضع أصول البلاغة ، من أئمة اللغة ، من آثاره : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز ، وإعجاز القرآن . (انظر خير الدين الزركلي : الأعلام ٤٨/٤) .

(٢) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط٣ ، القاهرة ، مصر ١٤١٣هـ ،ص ٤٤-٤٥ ،بتصرف.

(٣) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٢١ ، بتصرف .

(٤) د. محمد مندور : الأدب وفنونه ، ط٥ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ٢٠٠٦م ص٣٧ .

افتتاح القصائد مع الإشارة إلى أن أسلوب النداء كان بطريقتين :طريقة تعتمد حذف الأداة ،وأخرى تعتمد ذكر الأداة، واستعراض هذه الأساليب يؤكد أنه كان محاكاة لأساليب الشعراء القدامى في افتتاح قصائدهم .

ونرى في قصائدهم كثرة الأسلوب الخبري على النص الشعري كاملاً وهذا نلحظه عند (بولس سلامه) في قصيدته " كلمات الرسول" التي يقول فيها :

كلماتُ الرسولِ نورُ بيانٍ قطّرتْهُ السماءُ في أنواره
وارثُ الروضِ بالرياحينِ اولى وبأكنافهِ وطيبِ ثماره
منقذُ الدينِ من مناةٍ وعُزَّى والحجي من جمودهِ واجتراره
ذلكَ الثائرُ السماوي كانَ الـ ـدهرُ يُفني آناءه في انتظاره
أيقظَ الخاملينَ في كلِّ قُطرٍ غابَ حقُّ الحياةِ عن أبصاره(١)

فالأسلوب الخبري هو الغالب على النص ، وهدف النص إخباري إبلاغي يهدف إلى الوصف والنعت ، لذلك اعتمد الشاعر في نصّه على الجملة الاسّمية التي جاءت بصيغة الخبر الابتدائي ، أي الخبر الخالي من المؤكدات والموجه إلى متلقٍ خالي الذهن ليس بمنكر ، وبذلك فالخبر هنا جاء كأنه يسلّم بأن كلّ ما يقدمه لا يعتريه الشك لذلك تخلّى عن مؤكدات الجملة الاسمية .

ويمكن أن نلحظ سمة في الأسلوب الخبري لدى شعر المدروسين يتمثل في سيطرة الفعل الماضي على هذا الأسلوب، لذلك يلجأ الشعراء إلى اعتماده وتكراره في قصائدهم إلى درجة لم ينج منها أحدٌ منهم ،ولكن بعضهم أكثر من استخدامه لملازمة هذا الفعل لطبيعة الحكاية التي اعتمدتها أغلب النصوص ،كما نلحظ عن الشاعر (ميخائيل خليل الله ويردي) في قصيدته" وحي البردة" يقول فيها:

أدَّى الرسالةَ حتّى ضجَّ من سأمٍ أجنادُ إبليسَ واشتدّ الأسى بهمِ

(١) بولس سلامه : عيد الغدير ، ص١٢٢ .

وأفلسَـــتْ بعـــدَ إقبـــالٍ جهـــنَّمُهمْ ولم تجد حَطباً في الأشهرِ الحُـــرم
كـــأنّ أحمـــدَ بالأصـــفادِ كـــبّلهم فارتدَّ جيشُـــهُم المقهـــور بالسّـــدم
شرعٌ على أقومِ الأركـــانِ أسّســـهُ للعـــالمينَ نبـــيٌّ طـــاهرُ الشـــيّم
غذّى عقولَ الورى حتّى أتاحَ لهـــم عيش النّعيمِ ونقّاهمْ مـــن الاثـــم[1]

ويهمنا القول هنا إن القصيدة المذكورة يصل عدد أبياتها إلى (١٢٥) بيت وهي تتناول الرسول ﷺ وذكر صفاته وأفعاله ، وما أضـــافته إلـــى البشرية ، وهي على السرد والحكي ، وطبيعة ذلك تقتضى اللجوء إلى الفعل الماضي ، لذلك قلما يخلو بيت من أبيات القصيدة من هذا الفعل .

وقد يستخدم الشعراء بقلّة الفعل المضارع في السرد ، ولهذا غـــرض بلاغي ويمكن أن نلحظ ذلك عند الشاعر (نقولا فيـــاض) عنـــدما يقـــول واصفاً النبي محمدا ﷺ :

يُحمِّـــلُ نفسَـــهُ زهـــداً وسُـــهداً وتشـــريداً وجوعـــاً وامتهانـــا
ولا يثنيـــه وعـــدٌ أو وعيـــدٌ ليلـــوي دونَ دعوتـــه العنانـــا
يرى في الشَّمسِ مطمـــح ناظريـــهِ ويغمـــرُ وجهـــهُ القمـــرُ افتنانـــا[2]

فالفعل المضارع يفيد تجديد الحدث وراهنيته ، وبذلك فالصفات التي يضيفها هي صفات تأخذ صفة الديمومة المتجددة مع تجديد فعل القراءة ، فالأفعال (يحمّل ، لا يثنيه ، يلوي ، يرى ، يغمر) كان السرد يقتضي أن تكون بالماضي ولكن الشاعر جاء بها بصيغة المضارع لهدف بلاغي هو التجدد ، فنحن نقرأ الحدث ونشعر أنه يجري الآن ، فالرسول الكريم تحمّل كثيراً من الشقاء والتعب في سبيل نشر دعوته السماويّة ولم يثنه عن ذلك تهديد أو وعيد في زمن الرسالة ، ولكن المضارع جعلنا نشعر أن الحدث يجري الآن أمامنا ودفع مخيلتنا لتصـــوّر الجهـــد الكبيـــر الـــذي قدمـــه

(١) ميخائيل خليل الله ويردي ، زهر الربا ، ص٣٦ .
(٢) د . نقولا فياض : رفيف الأقحوان ، ص١٦٥ .

الرسول ﷺ في سبيلها ، وهذا ما نلمحه في بقية الأفعال (يلوي ، يرى ، يغمر) ورغم سردية هذه الأفعال لحدث ماضٍ إلا انها جاءت بصيغة المضارع لتبقي الحدث قائماً فيتمثله القارئ .

وقد يعتمد الشعراء أساليب بلاغية في الجملة الاسمية كالتقديم والتأخير من أجل إبراز مكون دلالي يرى الشاعر أهميته في تشكيل الدلالة المرادة ، وهذا ما يمكن أن نلحظه عند الشاعر (نقولا فياض) في معرض حديثه عن مكة مسقط رأس النبي ﷺ :

وفي أجفانها حلمٌ بعيدٌ تجرُّ بهِ المطارفَ أرجوانا[١]

إذ نلحظ أن الشاعر قدّم شبه الجملة لتحقيق غرضين أولهما : تخصيص الأهم ، وثانيهما : التشويق للمبتدأ ، فقدم الخبر شبه الجملة (في أجفانها) على المبتدأ (حلمٌ) لتخصيص العنصر الأهم بالجملة ، فالجفن هو الذي يزين ويحمل وهو العنصر الرئيس في النوم الذي يفتح باب الحلم مشرعاً لتزهو به العين ويفرح به القلب .

وقد يعمد الشعراء إلى تأخير ورود خبر المبتدأ للتشويق إليه ، وهذا ما يمكن ملاحظته في قول (ميخائيل خليل ويردي) في مطلع قصيدته في مدح النبي صلوات الله وسلامه عليه بقوله :

أنوارُ هادِي الورى في كَعبةِ الحرمِ فاضتْ على ذِكْرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ[٢]

فالشاعر يذكر المبتدأ في أول البيت ويؤخر خبره عنه إلى بداية الشطر الثاني من القصيدة بهدف التشويق إلى الخبر ، إذ إن الشاعر يشوق القارئ ، إلى أن يأتي بـ(فاضت) الجملة الخبرية التي تحدد ماهية الحدث المرتبط بالمبتدأ بصورة بلاغية ناصعة ، والتأخير تقانة شعرية تشويقية تحرك ذهن المتلقي وتدفعه إلى انتظار الخبر الذي يزيد من ألق الشعر .

أما على صعيد الجملة الإنشائية ، فيبرز أسلوب النداء في مخاطبة

(١) د . نقولا فياض : رفيق الأقحوان ، ص١٦٤ .

(٢) ميخائيل خليل الله ويردي : زهر الربا ، ص٣٥ .

الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – وقد جاء النداء بـــ(يا) مسيطراً سواء أكانت محذوفة مقدرة أم ظاهرة ، وهنا نلحظ تنويع الشعراء في مدح الرسول الكريم عبر تنويع أساليب ندائه بعبارات وكنايات موحية كما نلحظ في افتتاحية (خليل مطران) قصديته "عظمة العيد النبوي " إذ يكني عن الرسول ﷺ بقوله :

ألا أيُّهـــذَا الطـــالعُ المتبَسِـــم هدىً وسرورٌ نـورُكَ المتوسَّـمُ[1]

فالشاعر يعتمد (أي) النداء في مخاطبة الرسول ﷺ وهي أسلوب نداء القريب ، يهدف الشاعر من ورائه إلى جعل النبي ﷺ قريباً من القلوب لا سيما أن الشاعر قد نعته بـــ(الطالع المتبسم) الذي يبث الهدى والسرور في القلوب ينيرها ويهديها إلى الحق ، وكل ما يبعث السرور في القلب هو قريب منه.

ومن أساليب النداء بـــ(يا) مع تنويع الكناية المعبّرة عن الرسول الكريم ، ما نقرأه عند (نقولا فيّاض) في قوله :

نبـــيَّ العـــربِ ألهمنـــي بيانـــا على عجزِي أهزُّ بهش الزمانا[2]

استخدم الشاعر (يا) النداء المقدرة ، وهذا الحرف يستخدم في العرف البلاغي لنداء البعيد ، والبعد هنا هو بعدٌ معنوي مجازي يدل على علوِّ مكانة الرسول ﷺ وارتفاعها وجلالها ، وهذه الصيغة نلحظها عند الشاعر (نقولا فياض) الذي يعيد أسلوب النداء المشار إليه في قصيدته السابقة بقوله :

يتـــيمَ الـــدَّهرِ للـــدَّهرِ اِنقـــلابٌ دها الأجيالَ منـــهُ مـــا دهانَـــا[1]

فيستخدم اسلوب النداء المحذوف مع كناية (يتيم الدهر) الدالة على النبي ﷺ وهنا كان استخدام الكناية من باب التنويع الأسلوبي في مخاطبة

(١) خليل مطران : ديوان الخليل ٢٥/٣ .
(٢) د. نقولا فياض : رفيف الأقحوان ، ص١٦٤ .
(١) السابق : ص١٦٦ .

الرسول ﷺ من خلال التركيز على صفة اليتم التي صارت عامة بإضافتها إلى كلمة (الدهر) وهذا يزيد من إيحائية التركيب ، وكذلك النداء بمنزلة دعوة للصحوة وتمثُّل القيم التي نشرها الرسول ﷺ بين الناس .

ومن الأساليب الإنشائية البارزة لدى الشعراء المدروسين ، أسلوب الاستفهام ، فالتساؤل دائماً هو عنصر إثارة للمتلقي الذي ينتظره جواباً ولكن الشاعر قد يخيب أمل المتلقي المنتظر للجواب بأخذه إلى مناطق دلالية أخرى مستغلاً الدلالات البلاغية المتنوعة لهذا الأسلوب في العربية ، وقد يلح بعض الشعراء في استخدام الاستفهام ولا سيما في مطلع القصيدة كما نجد عن الشاعر (سعيد جريس العيسى) الذي يقول في مطلع قصيدته " من وحي الإسراء " :

هل بعدُ في اللّوحِ من معنى يؤديّه هل عندَ ربّكَ آيٌ بعدُ يوحيهِ؟
فينصتُ الكونُ للقرآنِ ثانيةً جبريلُ يهبطُ من علياه يمليه
قل خاتمُ الرُّسلِ الأطهارِ (أحمدُهم) نزهتهم في الورى عن كلّ تشبيه[٢]

فالشاعر يستخدم أسلوب الاستفهام بطريقة متلاحقة تدفع المتلقي إلى التساؤل عن فحوى ذلك ، ولكن انتظاره وتشويقه المثار من هذه الصيغ المتلاحقة لن يطول إذ إن الشاعر يطرح كل هذه التساؤلات دون أن يطرح لها جواباً لكن المتلقي سيستشف الجواب من خلال متابعة القصيدة ، فالمطلع المعزز بالصيغة الاستفهامية سيدفعه للمتابعة لإرواء فضوله ليجد أن وراء كل هذه التساؤلات دلالة على أن كل ما تساءل عنه الشاعر يؤدي دلالة تقريرية مفادها التعجب مما أحدثه القرآن الكريم في الكون ، وتمجيد صاحب تلك الرسالة القرآنية النبي محمد ﷺ .

وقد يخرج الاستفهام إلى دلالة التعجب والاستغراب كما نحظ في قول (ميخائيل ويردي) :

وكيفَ تُشركُ بالرحمنِ آلهةً لا يستطيعونَ ردَّ الرُّوحِ للرّمَمِ[١]

(٢) سعيد جريس العيسى : نفحات ص٣٩ .

(١) ميخائيل خليل الله ويردي : زهر الربا ، ص٣٦ .

فالاستفهام هنا يقدم دلالة الاستغراب والتعجب ممَّنْ يعبد الأصـــنام ويشركها مع الله مع أنها لا يمكن أن تفيده شيئاً .

وبعد هذا العرض رأينا أن معظم شعرائنا قد حرصـــوا علـــى اختيار الألفاظ والتراكيب المناسبة لنقل تجاربهم في التعبير عن شخصـــية النبي ﷺ بوصفها الأنموذج المحتذى في الحياة كلها ، وتصوير دلالاتهـــم والملائمة بين المعنى المقصود والألفاظ والتراكيب المناسبة لهذا المعنى .

المبحث الثاني
الصورة الشعرية

أولاً : مفهوم الصورة الشعرية :

الصورة مصطلح نقدي حديث لم يغب مفهومه العام عن النقاد الأوائل ، فقد أشاروا إليه إشارات متفاوتة لا يتجاوز في كل أحواله مفهوم الصور البيانية .

فابن سلام الجمحي يرى أن النظم في الشعر ليس كافياً لإبداع شعر جيد ، ومن خلال وضعه الشعراء في طبقات يتضح من مقاييسه في تصنيفهم أن الشعر عنده فن لغوي يقوم على التصوير(١). ويشير الجاحظ إلى مفهومها البياني عندما ذكر أن الشعر " صياغة وضرب من النسج ،وجنس من التصوير " (٢) . أما (أبو هلال العسكري) فقد أشار إليها أثناء تعريفه للبلاغة بأنها " كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ، ومعروض حسن" (٣) .

ثانياً : مصادر الصورة :

تنوعت المصادر التي استقى منها الشعراء النصارى الصورة الفنية في قصائدهم ؛تبعاً لاختلاف ثقافتهم واتجاهاتهم ومدى تأثرهم بالتراث واطلاعهم على ما في بيئتهم السياسية والاجتماعية ،والفكرية ، والطبيعية التي يتنقلون فيها ، سواء أكانت في وطنهم العربي (لبنان ، سوريا ، فلسطين ، مصر) أم في المهجر .

وعلينا أن نتذكر أن شخصية النبي الكريم ﷺ قد جعلت الشعراء يقفون أمامها معجبين، فلم يقتربوا من محمد الإنسان إلا بقدر ما يريدون من

(١) د. عبد الفتاح عثمان : نظرية الشعر في النقد العربي القديم ، ط١ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ١٩٨٠م ص١٣، بتصرف .

(٢) الجاحظ : الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ١٩٩٦م ، ١٣٢/٣.

(٣) ابو هلال العسكري : كتاب الصناعتين ، ص١٦.

معطياته الإنسانية والسلوكية والقيمية ، ولذلك ترى أن الصورة الشعرية التي دارت حوله ﷺ قد اتخذت طابع التجريد .

وإذا تتبعنا شعر النصارى في الرسول ﷺ استطعنا إرجاع مصادر الصورة الشعرية لديهم إلى ما يأتي:

١-السيرة النبوية :

وجد الشعراء النصارى في السيرة النبوية العطرة مصدراً ثراً يستمدون من أحداثها ، وبطولات صاحبها – عليه أفضل الصلاة والسلام – تجسيداً لصورهم الفنية في قصائدهم .

وقد استهوت السيرة النبوية وما ارتبط بها من أحداث الشعراء النصارى ليستمدوا منها صوراً فنية ، وهي كثيرة الورود لديهم ، ومن ذلك ما نجده لدى الشاعر (جورج صيدح) في قصيدته "المولد النبوي " التي يقول فيها ناهلاً من مشهد غار حراء :

شرفاً حراءَ الغارِ هل كحراءَ في الدنيا مكانْ؟
أخذ الشهادة من شِفا هـ المصطفى أخذَ البنان
في صدرهِ ضمَّ النجِي وصانَ معجزةَ الزمان
وتنزّلتْ أمُّ الكتا بِ على اليتيمِ مع اللِّبان
فهدى الأعاربَ ذلك الـ أمـيُّ بالسُّورِ الحسان[1]

فالشاعر يعتمد على السيرة النبوية مصدراً رئيساً لصوره في هذه القصيدة ، فيأخذ حادثة غار حراء ، ليضفي على الغار أبعاداً إنسانية لا تخلو من أمومة وتشخيص ، فغار حراء احتضن الرسول ﷺ وحماه من المشركين، وجاءت صورة " في صدره ضم النجيّ" لتحمل هذا الغار أبعاداً أمومية ، فالضَّم على الصدر يُضفي دلالة الحنان والود على الغار وهي سمات إنسانية أضفاها الشاعر على الغار لما له من أهمية في سيرة الرسول ﷺ ، فقد كان الملجأ الأول الذي آوى الرسول ﷺ .

(١) جورج صيدح : حكاية مغترب ، ص٣٣٣ .

وهذه الإفادة من السيرة النبوية لم تكن دائماً على هذه الدرجة من القدرة التصويرية ، وهذا ما يمكن أن نلمحه من مقارنة هذه القصيدة مع قصيدة (من وحي الإسراء) للشاعر (سعيد العيسى) الذي يفيد من السيرة النبوية العطرة ، وهو الاحتفاء بحادثة الإسراء بالمصطفى عليه الصلاة والسلام ، مستفيداً من هذا المصدر في بناء قصيدته ، عندما يقول :

سبحانَ ربّكَ إذ أسرىَ بأحمدهِ ... من مسجدِ اللهِ في إحدى لياليه
يطوي الجزيرةَ تجوالاً وينشرها ... في مهمةً مُقفرٍ جهمٍ نواحيه
يحارُ في ليلهِ الخرِّيتُ معتسفاً ... كأنهُ ضاربٌ في غُمرةِ التيه
حتى إذا بلغَ الأقصى تحفُّ به ... ملائكُ اللهِ والرحمن يحميه
لوى الأعنة شطرَ البيت واندفعتْ ... هوجُ العواصفِ يطويها وتطويه[٢]

فالشاعران يتشابهان في مصدر الصورة ، ولكن يختلفان في طريقة التصوير، فالصورة عند الشاعر جورج صيدح تمتلك رؤية فنية عالية ومقدرة تصويرية فائقة ،في حين أن الصورة نفسها عند الشاعر سعيد العيسى قد جاءت في بدايتها فاترة قائمة على محاكاة الواقعة التاريخية وسردها ،وإن حاول في البيتين الأخيرين رفع المقدرة التصويرية التي أنجت النص من التقريرية ونقلته إلى المستوى الشعري .

٢- الطبيعة :

استهوت مناظر الطبيعة شعراء النصارى ، فاستمدوا منها صوراً في شعرهم حول الرسول ﷺ، وبخاصة في احتفائهم بمولده وبرسالته ، ولاريب في أن للطبيعة التي عاش فيها أولئك الشعراء سواء في موطنهم الأصلي أم في المهجر أثراً في تكوين الصورة الفنية في قصائدهم .

وإذا تأملنا في الصورة الفنية المستمدة من الطبيعة ، سنجد أنها تراوحت بين استرفاد مظاهر الطبيعة الساكنة ، ومنها النور ،الكوكب ،

(٢) سعيد جريس العيسى : نفحات ، ص٣٥ .

الظلام ،الشمس ،السماء ،النجم ،البحر ، الماء ،الليل، الصحراء، وغيرها ، ومظاهر الطبيعة المتحركة ومنها : الحيوان ، والطيور ...وغيرها .

ويمكن أن نلمح الشاعر (إلياس فرحات) وهو يمدح الرسول ﷺ ويبين أثره في هداية الكون ونشر الإسلام ، فيصوّر غبطة الكون بمجيء الرسول ﷺ بقوله :

غَمرَ الأرض بأنوار النبوَّة كَوكبٌ لم تُدْرِكِ الشمسُ عُلُوَّه
بينما الكَون ظلامٌ دامسٌ فُتِحَتْ في مكَّة للنور كُوَّة

ويبدو البحر رافداً مهماً للصورة عند الشعراء النصارى ، بما فيه من اتساع وعمق ، فقد رأوه رمز الرسالة التي حملها النبي ﷺ ورمز القيم النبيلة ، من هنا استرفده الشعراء النصارى في بناء صورهم الفنية التي تعكس مشاعرهم تجاه النبي ﷺ ورسالته السمحة ، في قول (إلياس فرحات) :

وطَما الإسلامُ بحراً زاخراً بأواذيِّ المعالي والفُتوَّة[1]

إنها صورة ماثلة للعيان ومعبرة أتم التعبير عن رؤية الشاعر تجاه محمد ﷺ ورسالته بما تحمله من قيم ومبادئ ، كان البحر مصدرها ومنطلقها إلى وعي الشاعر وإدراكه الفني .

ويصور (زكي قنصل) الرسالة التي حملها الرسول ﷺ بالينابيع التي تفجر منها الهدى والنور بقوله:

وتفجّرتْ منها ينابيعُ الهدى ومعاهدُ التهذيبِ والإرشادِ[2]

وهذه الصورة تعد رائعة في بابها ، جديدة في موضوعها وهي تجسد قدرة الشاعر الإبداعية في وقع الظواهر الموصوفة في نفسه ، تتجلي فيها روحانية إيمانية تعكس إعجاب الشاعر بالرسول ﷺ والرسالة التي حملها .

وقد يستمد الشعراء صورهم من الطبيعة المتحركة ، فقد كانت الحيوانات

(١) إلياس فرحات : ديوان الصيف: ص٨٠ .
(٢) زكي قنصل : الأعمال الشعرية الكاملة ٧٠/١ .

بأنواعها المختلفة : كالشبل ،والأفاعي ،والطيور ،... وغيرها أساساً للصورة الفنية عند شعراء النصارى فالشاعر (عطا الله مغامس) ويرمز للرسول ﷺ بالشبل في قوله :

شَبَّ كالشبل زادهُ الحمدُ والتَّقـ ـوى وأحمدْ بمثلها من زادِ[١]

فالشاعر يصور النبي العربي حال شبابه بصغار الأسود (الأشبال) في البطولة والقوة متزوداً بزاد حمد الله وتقواه ، ويعجب من ذلك مستدلاً بالآية الكريمة : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)[٢]، مارفع بذلك الصورة ومنحها بعداً جمالياً ، فهذه الطبيعة امتزجت بالشعراء النصارى واندمجوا فيها ،حتى شاركتهم احتفاءهم بالرسول ﷺ والدفاع عنه ونصرته ، وتصوير عداء المشركين له فأصبحت مصدراً من مصادر الصورة وتشكيلها لديهم ،إذ إن " الصورة الشعرية وساطة التحام الإنسان مع الكون لتشكيل نوع من الوجود الإنساني الخاص"[٣] .

ثالثاً :أنواع الصورة :

أدرك الشعراء النصارى ما للصورة الفنية من منزلة في الخطاب الأدبي وما تؤديه من دور داخل النسق الشعري وفضائه الواسع الذي يتسع كلما تكثفت الدلالات والرموز والصور الموحية ، وبخاصة حينما يضفي عليها الشاعر روحاً حيوية تشكل اتحاداً بين ثنائية اللغة والصور الفنية ، ويحيل النص الشعري إلى لوحة جمالية مشرقة ، ناطقة كاشفة عن نفسية الشاعر ، وآسرة المتلقي برونقها وبهائها وإشراقها .

وسوف أتناول الصور الشعرية عند شعراء النصارى من خلال أوسع محورين ، وهما الصور التشبيهية والصور الاستعارية .

---

(١) عطا الله مغامس : فتى قلمون ، ص١٢٩ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٣) د. عبد القادر الرباعي: الصور الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى ، ط١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م ، ص٣٩ .

١- الصور التشبيهية :

يراد بها الصورة القريبة القائمة على أركان التشبيه أو بعضها .

فمن الصور المعتمدة على التشبيه ما نراه لدى الشاعر (رياض معلوف) في قصيدته "يا نبي الأعراب" عندما شبه الرسول ﷺ بالحسام حين هدى الناس إلى طريق النور :

هو يومٌ محجلٌ عربيٌّ فيهِ أقبلتَ مُشرقاً كالحسامِ[١]

فقد شبه الشاعر النبي ﷺ بالحسام في النور ، وكأنه يريد أن يقول أنه صرع الظلام برسالته كما يصرع السيف عارية الظلم ، وهذه صورة بديعة جمعت بين الحسي والمعنوي ف طرف من طرفي الصورة لعلاقة مناسبة بينهما .

وتأتي أداة التشبيه (كأن) عند الشاعر (جميل الخوري) لتوجد اتحادا بين الطرفين فيقول مصوراً "الله أكبر" التي نادى بها الرسول ﷺ في فتوحاته بالإعصار ، حيث كليهما يدوي وينتشر :

نادَى بها بينَ الجموعِ رسولُه فغدتْ تهزُّ كأنها إعصارُ[٢]

فهذه صورة بديعة أدت وظيفتها المنوطة بها بشكل ظاهر فالشاعر يريد منها ترجمة بطولة محمد ﷺ والإشادة بانتصاراته مردداً نداء(الله أكبر)عن طريق ربطها بشيء محسوس ،كصورة الإعصار القوي.

٢- الصورة الاستعارية :

الصورة الفنية القائمة على الاستعارة شائعة في قصائد شعراء النصارى ويُعرفها البلاغيون في تراثنا البياني بأنها " اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصلي والمجازي مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الأصلي .[٣]

---

(١) رياض معلوف : غمائم الخريف ، ص١٠٩ .

(٢) جميل لبيب الخوري : ديوان أيام ونغم ، ص ٢٠ .

(٣) علي البدري : علم البيان في الدراسات البلاغية ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ١٤٠٤هـ ، ص١٧٦

ومن ذلك قول (جميل علوش) في قصيدته " عرس الصحراء " .

وثبت من منامها البيد وسنى واستفاقت على صدى ردّادِ[١]

فقد اضفى الشاعر على مظاهر الطبيعة متمثلة في البيد صفات إنسان ، وقد حذف المشبه به وذكر شيئاً من لوازمه وهو الوثب على سبيل الاستعارة المكنية ، وهو – هنا – يشخص البيد وهي تثب من نومها على صوت يتردد بالهدى والنور . ويبدو أن هذه الصورة قد لامست شعوراً نفسياً لدى الشاعر جميل علوش في محاولته لاستمالة المتلقي العربي ، وتكوين رؤية فكرية عن طريق الصور المستوحاة من البيئة العربية .

وجاءت بعض الصور الفنية معتمدة على الكناية لتعطي بعداً جمالياً على لوحة الشاعر ، وتجعل فكرته عالقة في النفوس ثابتة في الأذهان ،راسخة لدى المتلقي بصورة إيحائية موجزة كقول (جميل الخوري) :

طفلٌ أطلَّ على الورَى بجبينه بهرَ العيونَ ضياؤهُ البَّهارُ

هذا حبيبُ اللهِ فيه هدايةٌ للعالمينَ ورحمةٌ وفخار[٢]

إن الشاعر يصور مولد محمد (ﷺ) الذي بهر أعين الناظرين وأضاء الكون بنوره ،مبيناً منزلته عند ربه –عز وجل– الذي أرسله هداية للناس ، ولهذا ركب الشاعر مطية الكناية في قوله " طفل أطلَّ على الورى " و " هذا حبيب الله " ليرسم من خلال ذلك صورة النبي المرسل من رب العالمين .

ومن الصور الفنية المعتمدة على الكناية في شعر النصارى قول (نصر سمعان) :

كَوكبٌ رحّبَ الوجودُ بهِ يو مَ تجلّى على الوجودِ شُعاعهْ[٣]

فالكوكب – هنا – هو الرسول (ﷺ) الذي أضاء الوجود بشعاعه ،

(١) د. جميل علوش:قصائدي الأولى، دار الينابيع للنشروالتوزيع، عمّان،الأردن ١٩٩١م، ص٩٨.

(٢) جميل لبيب الخوري : ديوان أيام ونغم ، ص ٢٠ .

(٣) نصر سمعان : ديوانه ، ص٧٩ .

وقد جاء مرحباً به ، وقد أسند الشاعر الفعل إلى الوجود مجازا ، في صورة تعكس موقف الشاعر وإعجابه بالرسول الكريم .

إن الصورة الفنية ليست " شيئاً ثانوياً يمكن الاستغناء عنه أو حذفه وإنما تصبح وسيلة حتمية لإدراك نوع متميز من الحقائق ... وتصبح المتعة التي تمنحها الصورة للمبدع قرينة الكشف ، والتعرف على جوانب خفيّة من التجربة الإنسانية ، ويصبح نجاح الصورة أو فشلها في القصيدة مرتبطاً بتآزرها الكامل مع غيرها من العناصر ، بوصفها وصلا لخبرة جديدة ، بالنسبة للشاعر الذي يدرك ، والقارئ الذي يتلقى ... "[1] ، وهذا ما كشفت عنه هذه الدراسة عند الشعراء النصارى.

بعد هذا العرض للصورة الفنية عند الشعراء النصارى يمكن أن نسجل النتائج الآتية :

أولاً : غلبة المصدر الإسلامي على المصادر والينابيع المشكلة للصورة الفنية ، ومسوّغ هذا الأمر طبيعة الموضوع الذي يتناول شخصية الرسول (ﷺ) ، فطبيعة هذا الموضوع تفرض الالتزام والحذر في التعامل مع الصور ، لا سيما أن أغلب الشعراء كانوا يلحون على طبيعة الصورة الإسلامية ، وبذلك برز هذا المصدر كمكون أساس للصورة .

ثانياً : الصورة الفنية كانت محكومة بثنائية التقابل كالنور / الظلمة / الإيمان / الشرك ، المؤمنين / الكافرين ... إلخ ، وكانت غالبية النصوص تدور في فلكها ، وهذا ما ولّد تشابهاً في الدلالة الإيحائية للصور ، وإن تعددت المترادفات المشكّلة لها .

(١) د . جابر عصفور : الصورة الفنية ، ط١ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ١٩٧٤م ، ص٣٨٣ .

المبحث الثالث
الموسيقى الشعرية

أولاً: الموسيقى الخارجية:

لا ريب أن الموسيقى من أهم عناصر الشعر ، وهي من أهم ما يُفرق بين الشعر والنثر ، وقد احتلّت بعنصريها : الوزن والقافية نصف مفهوم الشعر الذي حدده قدامة بن جعفر بأنه " قول موزون مُقفّى يدل على معنى "(١)

وهذان العنصران من ألزم العناصر للغة الشعرية ، ومن أدقّ مقاييسها النقدية(٢) ، ولذلك يعدّان عماد الموسيقى الخارجيّة في الشعر .

ويقصد بالموسيقى الخارجية " ذلك التوازي الصوتي الناشيء من نظام الوزن العروضي متمثلاً في الوحدات المتماثلة لزمن السلسلة المنطوقة ، إلى جانب أنظمة التقفية المطّردة أو التي يخضع اطرادها لتنوع منتظم ، فمستوى الإيقاع الخارجي يشمل مستويين إيقاعيين هما : الأوزان والقوافي اللذان يشكلان قاعدتين عامتين يلتزمهما جميع الشعراء في بناء النص الشعري "(٣)

وفيما يلي تفصيل لهما كما وردا في شعر النصارى حول الرسول (ﷺ) :

١- الوزن الشعري :

الوزن هو الركن الأول من أركان الموسيقى الخارجية ، وهو " أعظم أركان حدّ الشعر ، وأولاها به خصوصية"(٤) لأنه التوقيع المنتظم الذي

---

(١) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق : كمال مصطفى ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ١٩٧٨م ، ص١٧.

(٢) أحمد الشايب : اصول النقد الأدبي ، ط٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ١٩٨٥م ، ص٧٥ ، بتصرف .

(٣) محمد سالم الصفراني : شعر غازي القصيبي " دراسة فنية " ، ط١ ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ ، ص٣٧٣ .

(٤) الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ١٩٣٤م ، ١ /١٣٤ .

نلمسه في كلمات البيت من حيث تماثل الحركات وتكرار أجزاء البيت الواحد أولاً ، ثم في كل أبيات القصيدة ثانياً[١] .

وقد التزم الشعراء النصارى في شعرهم حول الرسول (ﷺ) بالبحور الخليلية المعروفة .

وبالنسبة لاستخدام الوزن عند الشعراء النصارى ، فإنه لا يخرج في الغالب عن هذا الإطار الذي يعطيه كامل فاعليته في صلب اللغة الشعرية ، يتجلّى ذلك في تنوّع البحور الشعرية المستخدمة التي تخضع تفاعيلها في غالب الأحيان للونٍ من التناسل الداخلي نتيجة الجوازات التي تفرضها التجربة كالزحاف والتدوير ، ومن خلال استعراض النتاج الشعري لشعراء النصارى حول الرسول (ﷺ) تبين أنهم لم يقيدوا أنفسهم ببحور معينة ، بل تركوا ذلك لما تمليه عليهم شاعريتهم وموهبتهم ، ولمعرفة نسبة استخدام البحور عند أولئك الشعراء قمت بتحليل الإنتاج الشعري وعمل إحصائية بعدد بحور الشعر التي تعامل معها الشعراء ولكي يتبيّن لنا ذلك ، نسوق الجدول الآتي الذي سيشكل منطلق حديثنا عن سياق كل وزن على حده.

الرقم	البحر	عدد الأبيات	النسبة
١	الكامل	٩٣	%٢٨.١٨
٢	الخفيف	٥٢	%١٥.٧٥
٣	البسيط	٤١	%١٢.٤٢
٤	الطويل	٣٧	%١١.٢١
٥	الوافر	٣١	%٩.٣٩
٦	المجتث	٢٨	%٨.٤٨
٧	المديد	١٧	%٥.١٥
٨	الرمل	١٥	%٤.٥٤
٩	المتقارب	١١	%٣.٣٣
١٠	الرجز	٥	%١.٥١
المجموع		**٣٣٠ بيتاً**	–

(١) د. السيد مرسي أبو ذكرى : أوزان الشعر العربي ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ص١٠٣ .

يتضح مما سبق أن الشعراء النصارى هجروا ستة من بحور الشعر هي : المقتضب ، والمضارع ، والمنسرح ، والهزج ، والسريع ، والمتدارك ، وهي نادرة الاستعمال في الشعر الحديث ، فالمقتضب " ثقل لكثرة الأوتاد فيه والأسباب الثقيلة وتكرار الفاصلة ووقوعها في النهايات " [١] والمضارع أنكره القدماء لثقله [٢]. والمنسرح كذلك لثقله[٣] ولا يلائم شعر النصارى حول الرسول (ﷺ) " ففي اضطراد الكلام عليه بعض اضطراب وتقلقل وإن كان الكلام فيه جزلاً "[٤] .

وكان لليونة الهزج وبطء السريع وخفة المتدارك الأثر في عزوف الشعراء النصارى عن هذه الأوزان في حديثهم عن الرسول (ﷺ) ويعكس ابتعاد الشعراء عنها استجابتهم للطبع والعفوية في اختيار البحور، وعدم القصد إلى الاستكثار والتفنن في الأوزان .

٢- القافية :

جاء في لسان العرب " القافية من الشعر : الذي يقفو البيت وسميت قافية لأنها تقفو البيت "[٥] والقافية هي القسم الثاني من أقسام الموسيقى الخارجية وهي " شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية "[٦] .

والقافية لدى العروضيين " آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله "[٧] ويهمنا القول إن الشعراء النصارى في حديثهم عن

---

(١) أبو الحسن حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن خوجة ، ط٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ١٩٨١م ، ص٢٣٤ .

(٢) السابق ، ص٢٣٤ ، بتصرف .

(٣) د. عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ط١ ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٥م ٧٥/١ بتصرف

(٤) أبو الحسن حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص٢٦٨

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، ١٩٥/١٥ / مادة (قفا) .

(٦) الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده / ١٥١/١ .

(٧) د. أحمد الهاشمي : ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ ، ص١١٢ .

الرسول (ﷺ) قد التزموا القصيدة التقليدية ذات الشطرين ، لذلك جاءت قوافيهم وفق النظام الذي أرساه نقادنا التراثيون مع بعض التحديثات البسيطة التي لم تخرج بالمجمل عن تلك النظم والقواعد .

ومن هنا إذ نظرنا إلى القوافي وفق فهم الخليل بن أحمد فإننا سنجد القوافي في شعر النصارى حول الرسول (ﷺ) قد تنوعت ، فبعضها جاء في بعض كلمة ، وبعضها جاء في كلمة ، وبعضها جاء في كلمة وبعض أخرى، وبعضها جاء في كلمتين ،أما القافية بعض كلمة فمثاله قول (سابا زريق) :

فانبرى سائلاً فقيلَ شُعاعُ الـ ـحقِّ يُهدى ليثربَ الزهراءِ[1]

فالقافية (راءِ) وهي جزء كلمة (الزّهراء) .أما القافية الواقعة في كلمة فمثالها قول (شفيق معلوف) :

لمن البلادُ أليسَ من أصحابَها أنتمْ ونحنُ فما لنَا لا نَهتدي[2]

أما القافية التي تأتي في كلمة وبعض كلمة فأمثلتها كثيرة عند الشعراء النصارى ، ومنها قول الشاعر (جرجس كنعان):

تَغيَّر الجوُّ فاهتزّتْ جوانُبهُ وحالفَ اليُمن في أرجائهِ الطَّربُ[3]

فقد جاءت القافية في قوله (ـه الطربُ) وهي مكونة من كلمة وبعض كلمة ، ومن نماذج القافية التي جاءت في كلمتين قول الشاعر (جرجس كنعان) :

طفلٌ به ارتفعتْ دنيا العروبةِ من حالٍ لحالٍ هي النعمى ولا عجب[4]

فقد وردت القافية في قوله (لا عجب) .

ثانياً :الموسيقى الداخلية:

يختفي وراء الموسيقى الخارجية الظاهرة ما يمكن تسميته بالموسيقى الداخلية ،وتأتي من قدرة الشاعر على اختيار كلماته وما بينها من تلاؤم

(١) سابا زريق : ديوانه ، ص٤٤٦ .
(٢) شفيق معلوف : سنابل راعوث ، ص١٦٩.
(٣) مجلة العرفان ، ص٥ .
(٤) السابق ، ص٥ .

في الحروف والحركات[١] وهنا يركّب الشاعر ألفاظه وعباراته لتوافق المعنى المراد التعبير عنه ،وهي تتضافر مع الموسيقى الخارجية في تشكيل إيقاع النص الخاص .

وتهدف الموسيقى الداخلية إلى تحقيق نوع آخر من الانسجام في القصيدة هو "الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها "[٢] المرتبطة بالتأثيرات العاطفية الناشئة من التجربة الشعرية ذات الصلة الانفعاليّة بمجال العمل الشعري [٣].

وتنبعث الموسيقى الداخلية – في الغالب – من فن المحسنات البديعية ، ومن بنية تنسيق الألفاظ والحروف والجمل داخل القصيدة ، وهو في الحقيقة ليس " إلا تفنناً في طرق ترديد الأصوات في الكلام ، حتى يكون له نغم موسيقي ، وحتّى يسترعي الأذن بألفاظه ، كما يسترعي القلوب والعقول بمعانيه ، فهو مهارة في تنظيم الكلمات ، ومهارة في ترتيبها وتنسيقها ، ومهما اختلفت أصنافه ، وتعددت طرقه يجمعها جميعاً أمر واحد : هو العناية بحسن الجرس ، ووقع الألفاظ في الأسماع ، ومجيء هذا النوع في الشعر يزيد من موسيقاه" [٤] ..

*** مظاهر بديعية :**

من ألوان الموسيقى الداخلية في شعر النصارى العرب حول الرسول (ﷺ) تلك التي اكتسبت مقوماتها الإيقاعية من فنون البلاغة الصوتية (علم البديع) (كالتصريع ، والطباق ، والتجانس) .

---

(١) د . شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ١٩٩٧م ، ص٩٧، بتصرف .

(٢) د . إبراهيم عبد الرحمن محمد : قضايا الشعر في النقد العربي ، ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ١٩٨١م ، ص٣٦ .

(٣) د. السعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث ، مقوماتها وطاقاتها الإبداعية ، ط٤ ، دارالمعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ٢٠٠٩م ، ص١٦٠، بتصرف .

(٤) . د. إبراهيم أنيس : موسيقا الشعر ، ص٤٤–٤٥ .

وقد برز التصريع[١] في شعر النصارى حول الرسول (ﷺ) ولزوم التصريع في البيت الأول من القصيدة عادة اتخذها معظم الشعراء ، ولا غرو في ذلك فقد دعا إليه النقاد الأقدمون إذ رأوا أن له " طلاوة وموقعاً من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها ، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي العروض والضرب وتماثل مقطعيهما ، لا تحصل لها دون ذلك " [٢] ويه يميّز بين الابتداء وغيره ، ويفهم قبل تمم البيت روي القصيدة وقافيتها[٣].

والتصريع يوجه اهتمام المستمع إلى القافية والوزن وقد شاع في مطالع قصائد الشعراء النصارى والتزمه معظم الشعراء ومن صوره قول (خليل مطران) :

هَلَّ الهِلالُ فحيّوا طالعَ العيد حيّوا البَشير بتحقيق الموَاعيد[٤]

والواقع أننا نشعر بانسجام في موسيقا هذه القصائد ، بل نحس بمتعة السماع والإلقاء ونحن ننشد الأبيات المصرعة .

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية الطباق[٥] ، وهو مما يضفي على البيت متعة في نفوس المتلقين ، وقد أولع شعراؤنا به ، وهو ما نلحظه في قول (جورج سلستي) في معرض حديثه عن آيات القرآن الكريم ، ومتبعاً حديثه بصفات اتسم بها النبي الكريم فيقول :

ولفّتِ الناسَ من بدوٍ ومن حضرٍ كما تلفّ الثرى هوجُ الأعاصيرِ
فلانَ من كانَ فظاً واستكانَ لها مستكبرٌ وعنا طاغوتُ شِريّر
اللهُ أكبر كم في اللِّين من عظةٍ لعِلق شرٍّ غليظ القلبِ مغرور

(١) التصريع : هو جعل العروض مقفاة تفقية الضرب وزناً ورويا ، تتقص بنقصه وتزيد بزيادته ، انظر : الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وأدآبه ونقده ، ١ / ١٧٣ .
(٢) أبو الحسن حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص٢٨٣.
(٣) محمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، ص١٨٠، بتصرف .
(٤) خليل مطران :ديوان الخليل ٢٩٨/١ .
(٥) الطباق : الجمع بين لفظتين متقابلتين (أي متضادتين) في المعنى ، انظر : أحمد الهاشمي : جواهر الألفاظ ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٤٠٩هـ ص٣٦٦ .

تنهى وتأمرُ بالحسنى ورائـدُك الدْينُ الحنيفُ بما أُلهمتَ من سور[١]

فالثنائيات المتضادة التي يقدّمها الطباق في النص ، تبرز دلالات ما أحدثه الإسلام من تأثير ، لجأ إليها الشاعر لإظهار الأثر الـذي أحدثـه الـدين الحنيف مع صاحبه النبي محمد (ﷺ) .

وظاهرة الطباق هي أكثر الظواهر البديعية برزواً لدى الشعراء النصارى في حديثهم عن الرسول (ﷺ) ومسوّغ هذه الظاهرة أنها تقانـة متضـادة تتناسب مع حالة الشعراء الذين يريدون أن يظهروا التنـاقض بـين قـيم الإسلام وقيم الجاهلية ، ولا سيما منها تكبر الكفار في رفـض الرسـالة الجديدة ، لذلك قلما نجد شاعراً من الشعراء النصارى لم يسـتخدم هـذه التقانة ، ومن أمثلته قول (خليل مطران) مخاطباً أبناء أمته ، بمناسبة رأس السنة الهجرية متفائلاً بذكرى الهجرة النبوية :

جوزوا على بركاتِ اللهِ عامَكُم فقـد تبـدَّلَ منحـوسٌ بمسـعود[٢]

ومنه قول (جورج سلستي) :

فليس َكالدِّينِ نورٌ يستضاء بـه في عالم بظلامِ الجهـلِ مغمـورِ[٣]

ومن الأنماط البديعية التي تنمي الموسيقى في النص ؛نمط التجـانس[٤] بين الألفاظ مما يزيد من تقارب أصواتها ويحسّن وقعها في القصيدة ، وقد عني البلاغيون والنقاد العرب بدراسته بوصفه أحد أبـواب البـديع فـي البلاغة العربية والجناس من أكثر الألوان البديعية أهميـة فـي مجـال التشكيل الموسيقي والمعنوي على السواء ، إذ يحقق لهما قدراً كبيراً مـن الثراء؛ من حيث كونه مجانسة صوتية بين كلمتين مع اختلاف في المعنى.

(١) مجلة " الرسالة" ص١٨ .

(٢) خليل مطران : ديوان الخليل ٣٠٣/١ .

(٣) مجلة " الرسالة " ص١٨ .

(٤) التجانس : تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى (انظر : الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، ط٢ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٦م ، ص٣٢٣).

وقد اعتمد الشعراء النصارى في حديثهم عن الرسول (ﷺ) على نوعي الجناس ، التام[١] منه والناقص، فالنوع الأول وهو التام إن كان بين لفظين من نوع واحد –اسمين – سُمي مماثلاً[٢] ، ومن الشعراء النصارى الذين اعتمدوا هذا النوع من الجناس التام الشاعر (توفيق بربر) الذي يقول:

وحيٌ من اللهِ ما أحلَى تلاوتَهُ كأنَّ آياتهِ ضَرْبٌ من الضَّربِ[٣]

فقد وقع الجناس بين لفظتي (ضَرْب) و (الضَّرْب) على سبيل الجناس التام القائم على تكرار الأحرف ذاتها في الكلمتين .

أما النوع الثاني من الجناس ، فهو الجناس الناقص[٤] ، ومن نماذجه قول (سعيد العيسى) في قصيدة " عالم البيد" وقد جانس بين لفظتي (الوعد ، والوعيد) بزيادة حرف واحد :

والكتابُ المبينِ يجهرُ بالحقْ وبالوعدِ تارةً والوعيدِ[٥]

ومن الجناس الناقص ما كان الحرفان المختلفان متقاربين ويسمى جناساً مضارعاً[٦] ومنه قول (مراون عبود) مصوراً ما لاقاه الرسول (ﷺ) من أذى قومه وعنتهم :

لقد أحرجوكَ فأخرجوكَ فنلتَهم ومذِ ارعووا عن ذلكَ الطُّغيانِ[٧]

---

(١) والجناس التام : هو أن تتفق اللفظتان في عدد الحروف ونوعها وشكلها وترتيبها .(انظر : الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص٣٢٣) .

(٢) الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص٣٢٣ .

(٣) توفيق بربر : ديوان الشلال ص١٢٧.

(٤) الجناس الناقص : هو ما اختلفت فيه اللفظتان في واحد من الوجوه الأربعة السابق ذكرها في الجناس التام . (انظر : الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ص٣٢٥) .

(٥) سعيد جريس العيسى : نفحات ص٢٥ .

(٦) الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص٣٢٦ .

(٧) مارون عبود : ديوان زوابع ، ص٥٨ .

الخـــــاتمة

بعد شكر الله على ما أنعم وأتمّ ، أرجو أن أكون قد وُفِقت إلى مـــا قصدت إليه من تقديم صورة واضحة عن شعر النصارى حول الرسول ﷺ من خلال الدراسة الموضوعية والفنيّة ، وقد توصلّت إلى نتائج توزّعـــت في نهايات فصولها ومباحثها ، ومن أبرز هذه النتائج والمعطيات :

١- أن هناك بواعث عدة دفعت الشعراء النصارى إلـــى الحـــديث عـــن الرسول (ﷺ) فقد أشادوا بالقرآن الكريم واللغة العربية ، مما دفعهـــم إلى الحديث عن الرسول (ﷺ) والإشادة ببيانه ورأوا فيه نبياً محبوبـــاً يعجبون بشخصه وعظمته الإنسانية ، فامتزجت رؤيتهم تلك بالنظرة إلى الرسول (ﷺ) كبطل وزعيم عربي تاريخي ، يعرضـــون أمامـــه الواقع الأليم .

٢- كما أوضح البحث أن مسؤولية نصارى العرب لا تقل عن مســـؤولية المسلمين تجاه القضايا الوطنية والثقافية والسياسية ، فهم أبنـــاء هـــذه الأمة لا ينفصلون عن نسيجها ،ولا يمكنهم الاغتراب عـــن ثقافتهـــا ومصالحها ،سواء كانوا في الداخل أو في بلدان المهجر ،وقد نجحـــوا في إحداث توازن بين قضاياهم الذاتية، وقضايا مجـــتمعهم ووطـــنهم وأمتهم العربية من خلال حديثهم عن الرسول (ﷺ) والإشادة به.

٣- لم يترك الشعراء النصارى حادثـــة تتعلـــق بالرســـول (ﷺ) غالبـــاً إلا عالجوها وأبرزوا من خلالها ملامحه الخاصـــة ، فتحـــدثوا عـــن مولده (ﷺ) وهجرته ، ومعجزاته والإشادة بالنبي من خلال الجوانب الإنسانية في حياته (ﷺ) ، ومع أصحابه وافتخروا بغزواته .

وهذا مما أدى على صعيد اللغة إلى بروز ثلاثة حقول أساسية في الشـــعر المدروس هي الحقل الدال على الرسول (ﷺ) وصفاته ، والحقل الدال على المكان والبيئة التي عاش فيها الرسول (ﷺ) ، والحقل الدال على الإسلام .

٤- إن الأصول المعرفية واللغوية الظاهرة عند الشعراء النصارى في حديثهم عن الرسول (ﷺ) ، تنبع من ثلاث ثقافات أساسية هي : ثقافة تراثية مستمدة من لغة الشعر القديم ، وثقافة دينية مستمدة من الثقافة الإسلامية ممثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وثقافة معاصرة مستمدة من روح العصر ، وقد لاحظت أن المنبع التراثي هو الغالب على لغة الشعراء النصارى حول الرسول (ﷺ) ، وسوّغ ذلك انتماء غالبية الشعراء المدروسين إلى المدرسة الكلاسيكية ، مما أدى إلى ملاحظة مهمة على صعيد الشعراء النصارى في تعاملهم مع غرضهم الشعري المدروس .

٥- شيوع الطابع التقليدي على بنية الصورة في شعر النصارى ،وهذا ناجم عن طبيعة الإطار الفني الذي اختاره الشعراء والاتجاه الاتباعي الذي وسم تجبارهم الشعرية ،كما لحظت غلبة الوظيفة الإعلامية والانفعالية في شعرهم على حساب الوظائف الأخرى للصورة الشعرية ،ولا سيما الوظيفة الشعرية .

٦- برزت في شعر النصارى حول الرسول (ﷺ) مظاهر بديعية ميزت لغتهم الشعرية أهمها التصريع والطباق والتجانس .

٧- التزام الشعراء النصارى في تناولهم الرسول (ﷺ) البحور الخليلية المعروفة ، لذلك جاءت قوافيهم وفق النظام الذي أرساه نقادنا التراثيون مع بعض التحديثات اليسيرة التي لم تخرج بالمجمل عن تلك النظم والقواعد ، كما أن المظاهر الإيقاعية والبديعية المشكلة للموسيقا الداخلية عند الشعراء النصارى رغم محافظتها على البنية الإيقاعية التقليدية المستمدة من قصائد التراث ، إلا أنها أسهمت في نقل حالة التوتر والانسجام المرتبطة بالحالة الشعورية المراد التعبير عنها من قبل الشاعر.

وفي نهاية هذه الدراسة يمكن تسجيل بعض الاقتراحات والتوصيات الضرورية لاستكمال هذا العمل :

١- تدعو الدراسة إلى ضرورة إبراز أدب كثير من الشعراء النصارى – ولا سيما المهجري منه– والعمل على إعادة إصدار دواوينهم إذ إن أكثرها –الآن– بات مفقوداً بحكم تقادم الزمن على طبعته الأولى ، فهناك دواوين طبعت في الثلث الأول من القرن العشرين ، وصارت في حكم المفقودة ، يصعب على الباحثين الوصول إليها ، وذلك سيفتح باباً لدراسة كثير منهم ، ولدراسة عدد من القضايا الأدبية والفنية التي لم يتناولها النقد .

٢- توصي الدراسة بإفراد بعض الموضوعات التي تناولها الشعراء النصارى حول الرسول (ﷺ) بدراسة مستقلة من شأنها أن تكشف عن أبعادها ، ولعلّ العروبة والاتجاه القومي ، من أبرز الاتجاهات والقضايا وأجدرها بالدراسة .

٣- وتوصي الدراسة أيضاً بإفراد الشعر القصصي عند بعض الشعراء بدراسة مستقلة ، نظراً لكون القص ظاهرة بارزة في شعرهم ، مما يستدعي دراسة خاصة تكشف موضوعاته وسماته الفنية ، ، ولعل الشاعرين (بولس سلامه) و (مارون عبود) من أبرزهم في هذا المجال .

٤- هذه الدراسة جزء من دراسات أكاديمية رصينة عن الرسول (ﷺ) في الشعر العربي ينبغي جمع شتات هذه الدراسات في موسوعة واحدة تحت عنوان " الرسول (ﷺ) في الأدب العربي ".

وبعد .... فلا أدعي كمال ما قدمت ، وإنما هو جهد المقل الذي يأمل في خدمة لغته ،وإنني لم أدخر جهداً كان يمكن أن أبذله ، **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

الدواوين

١- إدوارد مرقص : ديوانه ، المطبعة التجارية ، اللاذقية ، سوريا ١٩٣٥م .

٢- إلياس فرحات :الصيف ، ط١، مطبعة صفدي التجارية ، سان باولو ، البرازيل ، أمريكا الجنوبية ١٩٥٤م .

٣- إلياس قنصل :ألحان الغروب ، ط١ ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ١٩٧٨م .

٤- السهام ، ط٣ ، المطبعة السورية ، بيونس أيرس ، الأرجنتين ، أمريكا الجنوبية ، ١٩٣٥م .

٥- بطرس إبراهيم عوض : على شاطئ الحياة ، ط٢ ، دار الطباعة ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٧م .

٦- البوصيري : محمد بن سعيد : ديوانه ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني ، ط٢ ، ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

٧- بولس سلامه : عيد الغدير ، ط٢، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، لبنان ١٩٦١م .

٨- توفيق بربر : ديوان الشلال ، ط٢ ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، ١٩٨١م .

٩- جاك صبري شماس : جواز سفر عربي ، ط١ ، الشعار للطباعة ، حمص ، سوريا ٢٠٠٨م .

١٠- سيدتي الكلمة، ط١ ، اتحاد كتاب العرب، الحسكة، سوريا ٢٠٠٨م .

١١- شمس العروبة والإسلام ، ط١ ، مطبعة دار عكرمة ، دمشق ، سوريا ٢٠٠٦م .

١٢- الفارس النبيل ، ط١ ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ٢٠٠٧م .
١٣- ابن جابر الأندلسي : نظم العقدين في مدح سيد الكونين ، تحقيق : د. أحمد فوزي الهيب ، ط١ ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ، دمشق ، سوريا ٢٠٠٥م .
١٤- جميل علوش : قصائدي الأولى ،دار الينابيع للنشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ١٩٩١م .
١٥- جميل لبيب الخوري :ديوان أيام ونغم ، ط١ ، دار القبس العربي ، عكا ، فلسطين ١٩٧٧ م .
١٦- جورج صيدح : حكاية مغترب ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، لبنان ١٩٦٠م .
١٧- جورج كعدي :الكعديات ، ط١ ، مطبعة فاندوم سليم عبده وشركاه ، بيروت ، لبنان ١٩٦٩م .
١٨- حليم دموس:ديوان حليم ، ط٢ ، مطبعة دار الأيتام السورية بالقدس ، فلسطين ١٩٢٠م .
١٩- خليل مطران : ديوان الخليل ،ط١، دار مارون عبود ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٧م .
٢٠- دعبل الخزاعي :ديوانه ، شرح : حسن حمد ، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٤١٤هـ /١٩٩٤م .
٢١- رشيد أيوب : الأيوبيات ، ط١ ، طبعة نيويورك ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩١٦م .
٢٢- رشيد سليم الخوري :الشاعر القروي الأعمال الكاملة (الشعر) ، جمعه وبوبه وضبطه وشرحه وقدم له : مكتب التدقيق اللغوي ، ط١، منشورات جروس برس ، طرابلس ، لبنان ١٩٩٦م .
٢٣- رياض معلوف :غمائم الخريف ، ط١ ، مطبعة مارأفرام ، بيروت ، لبنان ١٩٧٤م .

٢٤- زكي قنصل :الأعمال الشعرية الكاملة ، كتاب الاثنينية رقم (٢) ، ط١، الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدة، المملكة العربية السعودية ١٩٩٥م .
٢٥- ديوانه ، تدقيق : إبراهيم جمعه، ط١، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ١٩٨٦م .
٢٦- سابا زريق :ديوان سابا زريق شاعر الفيحاء ،دار الإنشاء للطباعة والنشر ، طرابلس ، لبنان ١٩٥٥م .
٢٧- سعيد جريس العيسى :نفحات ، ط١ ، دار العودة ،بيروت ، لبنان ١٩٩٠م .
٢٨- شفيق معلوف : سنابل راعوث ،قصائد مختارة ،ط١، دار مجلة شعر ، بيروت ، لبنان١٩٦١م.
٢٩- عبد الله يوركي حلاق :حصاد الذكريات ، ط١، مطبعة الضاد ، حلب ، سوريا ١٩٦٦م .
٣٠- عصير الحرمان ، ط١ ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ١٩٩٠م .
٣١- عطا الله مغامس : فتى قلمون ، ضبطه ونسّقه : شاكر الدبس ، ط١ ، سان باولو ، البرازيل ، أمريكا الجنوبية ١٩٧٢م.
٣٢- فيليب لطف الله : حصاد الأيام ، ط١، مطبعة بلادي للطباعة والنشر ، سان باولو ، البرازيل ، أمريكا الجنوبية ١٩٧٥م.
٣٣- كعب بن زهير : ديوانه ، دراسة وتحقيق : د. سامي مكي العاني ، ط٢ ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ١٩٩٧م .
٣٤- كمال ناصر :جراح تغني ، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٠م .
٣٥- لويس صابونجي : ديوان شعر النحلة ، ط١ ، بيروت ، لبنان ١٩٥٢م .
٣٦- ماجد الحكواتي :شعراء النصارى العرب والإسلام ، ط١ ، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٦م .

٣٧- ٣١- مارون عبود : ديوان زوابع ، ط١ ، دار المكشوف ، بيروت ، لبنان ١٩٤٦ م .
٣٨- محمود سامي البارودي : كشف الغمة في مدح سيد الأمة ، ط١ ، مطبعة الجريدة ، القاهرة ، مصر ١٣٢٧هـ .
٣٩- ميخائيل خليل الله ويردي : زهر الربا ، ط١، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، سوريا ١٩٥٤م.
٤٠- ميشال مغربي : أمواج وصخور ، ، ط١ ، مطبعة صفدي التجارية ، سان باولو ، أمريكا الجنوبية ١٩٧٧م .
٤١- نصر سمعان : ديوان نصر سمعان شاعر العروبة ، نسّقة وأشرف على طباعته وقدم له : رشيد شكور ، ط١، دار المراحل للطباعة والنشر ، سان باولو ، البرازيل ، أمريكا الجنوبية ١٩٧٢م .
٤٢- نقولا فياض :رفيف الأقحوان ،ط١، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ١٩٥٠م .
٤٣- وديع البستاني :ديوان الفلسطينيات ، ط١ مكتبة الطاهر إخوان ، نابلس ، فلسطين ١٩٤٦م .
٤٤- وصفي قرنفلي :وراء السراب ، ط١، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، دمشق ، سوريا ١٩٦٩م.
٤٥- **ثانياً : المراجع**
٤٦- إبراهيم أنيس : موسيقا الشعر ، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ١٩٨٨م .
٤٧- إبراهيم عبد الرحمن محمد : قضايا الشعر في النقد العربي ، ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ١٩٨١م .
٤٨- أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد ، تحقيق : السيد أبي المعاطي النووي وآخرين ، ط١ ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ١٤١٩هـ .
٤٩- أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، ط٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ١٩٨٥م .

٥٠- أحمد قبش : تاريخ الشعر العربي الحديث ،ط١، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ١٩٧١م .
٥١- أحمد مطلوب : صور عربية من المهجر الجنوبي ، ط٢ ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ١٩٨١م .
٥٢- أحمد الهاشمي : جواهر الألفاظ ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٤٠٩هـ .
٥٣- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ .
٥٤- إليزابيث درو : الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، ترجمة : د. محمد إبراهيم الشوش ، ط١ ، منشورات مكتبة منيمنة ، بيروت ، لبنان ١٩٦١م .
٥٥- أبو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد ﷺ ، ط٢ ، دار الشروق للنشر والتوزيع للطباعة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
٥٦- جابر عصفور : الصورة الفنية ، ط١ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ١٩٧٤م .
٥٧- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محمد :
٥٨- الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ١٩٩٦م .
٥٩- جلال الحنفي :العروض : تهذيبه وإعادة تدوينه ،ط١،مطبعة العاني ، بغداد ، العراق ١٣٩٨م .
٦٠- جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ،ط٤، مكتبة السائح ، طرابلس ، لبنان ١٩٩٩م .
٦١- حسن جاد حسن :الأدب العربي في المهجر ، دار قطري ابن الفجاءة ، قطر ١٩٨٥م .
٦٢- حسن فهد الهويمل :النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ط١، المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، شركة ألوان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٦٣- حلمي محمد القاعود :محمد ﷺ في الشعر الحديث ، ط١ ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
٦٤- خالد محيي الدين البرادعي : المهاجرة والمهاجرون ، دراسة في شعر المهاجرين العرب إلى القارة الأمريكية ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، سوريا ٢٠٠٦م .
٦٥- ابن خلكان :شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، ط١ ، دار صادر بيروت ، لبنان ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
٦٦- خير الدين الزركلي : الأعلام ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٢م .
٦٧- ابن رشيق القيرواني : أبو علي الحسن :العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ١٩٣٤م .
٦٨- أبو رياش القيسي : أحمد بن ابراهيم : شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي ، تحقيق : د . داود سلوم ، ود. نوري القيسي ، ط٢ ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦م .
٦٩- زكي مبارك : المدائح النبويّة في الأدب العربي ط١ دار الجيل ، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٧٠- سعد ميخائيل : شعراء السودان ، ط١ ، مطبعة رعمسيس ، القاهرة ، مصر ١٩٢٤ م .
٧١- السعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث ، مقوماتها وطاقاتها الإبداعية ، ط٤،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر ٢٠٠٩م .
٧٢- ابن سنان الخفاجي : أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد:سر الفصاحة ، تحقيق : علي فودة ، د٢، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
٧٣- السيد إبراهيم محمد : قصيدة " بنات سعاد " لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦م .

٧٤- السيد مرسي أبـــو ذكـــرى : أوزان الشـــعر العربـــي ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٤٢٢هـــ / ٢٠٠٢م .
٧٥- شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ط٢ ، دار المعارف ، القـــاهرة ، مصر ١٩٩٧م.
٧٦- طوني ضو :معجم شعراء القـــرن العشـــرين ، ط١ ، دار أبعـــاد ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٧م .
٧٧- عباس محمود العقاد :عبقرية محمد ، ط١ ، دار الكتاب العربـــي ، بيروت ، لبنان ١٩٦٩م .
٧٨- عبد الحميد جيدة : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، ط١ ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ، طـــرابلس ، لبنـــان ١٩٨٦م .
٧٩- عبد الرحمن المطوع : الشاعر المؤرخ عبيد مدني ، حياته وشعره ، ط١ ، مؤسسة المدينة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـــ / ١٩٩٨م .
٨٠- عبد الفتاح عثمان : نظرية الشعر في النقد العربي القـــديم ، ط١ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ١٩٨٠م .
٨١- عبد القادر الرباعي : الصور الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى ، ط١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الريـــاض ، المملكـــة العربيـــة السعودية ١٤٠٥هـــ / ١٩٨٤م .
٨٢- عبد القادر عياش : معجم المؤلفين السوريين في القرن العشـــرين ، د.ط، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ١٩٨٥م .
٨٣- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمـــود محمـــد شاكر ، ط٣ ، القاهرة ، مصر ١٤١٣هـــ .
٨٤- عبد الكريم راضي جعفر : شعر عبد القـــادر رشـــيد الناصـــري ، دراسة تحليلية فنية ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامـــة ، بغـــداد ، العراق ١٩٨٩م .

٨٥- عبد الله الطيب المجذوب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٥٥م .
٨٦- علي البدري :علم البيان في الدراسات البلاغية ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ١٤٠٤هـ .
٨٧- عمر الدقاق : فنون الأدب المعاصر في سورية ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، د. ت .
٨٨- عيسى الناعوري : أدب المهجر ، ط٣، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ١٩٧٧م .
٨٩- غازي شبيب :فن المديح النبوي في العصر المملوكي ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
٩٠- غالب بن محمد محمود الشاويش : الكافي في علم العروض والقوافي ، ط١ ، أضواء البيان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ١٩٩٦م.
٩١- الشيخ الإمام أبي حفص تاج الدين الفاكهاني : المورد في عمل المولد (حكم الاحتفال بالمولد النبوي) ، ط١ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
٩٢- ابن قتيبة :أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري : الشعر والشعراء ، تحقيق:أحمد شاكر، ط٢ ، دار الحديث، القاهرة ، مصر ١٤٢٣هـ .
٩٣- قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق : كمال مصطفى ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ١٩٧٨م .
٩٤- القرطاجني : أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن :منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن خوجه ، ط٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ١٩٨١م .
٩٥- القزويني :أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن :الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط٢ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ٢٠٠٦م .

٩٦- لويس شيخو :تاريخ الآداب العربية (١٨٠٠- ١٩٢٥م) ،ط٣، منشورات دار المشرق ، بيروت ، لبنان ١٩٩١م .
٩٧- ماهر حسن فهمي : شوقي وشعره الإسلامي ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ١٩٩٨م .
٩٨- مجموعة من المؤلفين :معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ،ط١، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ١٩٩٥م .
٩٩- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري ، الكويت ١٩٩٨م .
١٠٠-محمد راتب الحلاق :نحن والآخر، دراسة في الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ١٩٩٧م .
١٠١-محمد سالم الصفراني :شعر غازي القصيبي ، دراسة فنية ، ط١ ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ .
١٠٢-محمد عبد القادر أبو فارس :الإسراء والمعراج ، ط١ ، دار الفرقان ، عمّان ، الأردن ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
١٠٣-محمد الغزالي : فقه السيرة ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ .
١٠٤-محمد مندور :الأدب وفنونه ، ط٥ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ٢٠٠٦م .
١٠٥-النقد والنقاد المعاصرون ، ط٤ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ٢٠٠٨م .
١٠٦-محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ١٩٧٩م .
١٠٧-محمود علي مكي : المدائح النبوية ، ط١ ، دار غوبار للطباعة ، القاهرة ، مصر ١٩٩١م .

١٠٨-مسلم بن الحجاج : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم : صحيح مسلم ، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٧٢م .
١٠٩-ابن منظور : محمد مكرم بن علي بن أحمد جمال الدين :لسان العرب ، ط٥ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٣م .
١١٠-نادرة جميل السراج : شعراء الرابطة القلمية ، ط١ ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٧م .
١١١-ناظم رشيد : المدائح النبوية في أدب القرنين السادس والسابع للهجرة ، ط١ ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ٢٠٠٢م.
١١٢-نزار أباظة : في بيت الرسول ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
١١٣-نظمي عبد البديع :أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ١٩٧٦م .
١١٤-نظمي لوقا :محمد الرسالة والرسول ، ط١ ، دار الثقافة للنشر ، القاهرة ، مصر ٢٠٠٥م .
١١٥-ابن هشام :أبو محمد عبد الملك بن هشام :السيرة النبوية ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٨م.
١١٦-أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري : الصناعتين ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٧١م.

الدوريات

١١٧-مجلة " الرسالة " العدد (٩١٣) ، الاثنين ٢٢ ربيع الأول ١٣٧٠هـ /١٩٥١م ، السنة التاسعة عشرة ، القاهرة ، مصر .
١١٨-مجلة " العرفان " العدد (٢) يناير ١٩٥٢م ، بيروت ، لبنان .